سلسلة مؤلفات العارف البيتماني
(١)

حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدين

تأليف

الشيخ العارف الكامل الصالح الصوفي «فارس الميدان»

جمال الدين أبي الهدى حسين بن طعمة الحسيني الدمشقي الشافعي القادري

الشهير بالبيتماني

المتوفى سنة ١١٧٥ هـ

ومعه

مدخل إلى علوم أهل الحقائق



حققه وعلق عليه

أحمد بن سهيل المشهور
محمد زاهر بن حسين الهويدي



حبل الله المتين

في عقيدة

الشيخ الأكبر محيي الدين


بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة مؤلفات العارف البيتماني
(١)

حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدين

تأليف

الشيخ العارف الكامل الصالح الصوفي «فارس الميدان»

جمال الدين أبي الهدى حسين بن طعمة الحسيني الدمشقي الشافعي القادري

الشهير بالبيتماني

المتوفى سنة ١١٧٥ هـ

ومعه

مدخل إلى علوم أهل الحقائق



حققه وعلق عليه

أحمد بن سهيل المشهور — محمد زاهر بن حسين الهويدي



الكتاب : حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محي الدين

المؤلف : حسين بن طعمه البيتماني

الطبعة الأولى : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

الرقم الدولي : ISBN 978-9933-660-01-7





للطباعة والنشر والتوزيع

سورية . دمشق . الحلبوني

dar.alshikh.alakbar@gmail.com




فَإِن حُجَجَ أَهْلِ هَـذِهِ الطَّائِفَةِ أَظْهَرُ مِن حُجَجِ كُلِّ أَحَدٍ، وَقَوَاعِدَ مَذهَبِهِمْ أَقوَى مِن قَوَاعِدِ كُلِّ مَذْهَب.

وَالنَّاسُ: إِمَّا أَصْحَابُ النَّقلِ وَالأَثَرِ، وَإِمَّا أَربَابُ العَقلِ وَالفِكرِ... وَشيُوخ هَذِهِ الطائِفَةِ ٱرْتَقَوا عَن هَذِهِ الجُملَةِ؛ فَالَّذِي لِلنَّاسِ غَيبٌ.. فَهُوَ لَهُم ظُهورٌ، وَالذي لِلخَلقِ مِنَ المعَارِفِ مَقصُودٌ.. فَلَهم - مِنَ الحَقِّ سُبحَانَه - مَوجودٌ. فَهُم مِن أَهلِ الوِصَالِ، وَالنَّاسُ أَهلُ الاستِدلالِ.

الإِمَامُ أَبُو القَاسِمِ القُشَيْرِي







بين يدي الرسالة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي رسَّخَ الإيمانَ بقلوبِ أهلِ وداده ، وأزاحَ ظلمةَ الأكوانِ بنورِ هدايتِهِ وإرشادِهِ ؛ فمنهم مَن أدناهُ بالدَّليلِ والبرهانِ ، ومنهم مَن اجتباهُ بلطائفِ الشهودِ والعِيانِ ، ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠] من عينِ الجودِ والامتنانِ .

والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ قائدِ الفِرقتينِ ، ودليلِ الحضرتينِ ، قاسمِ إمدادِ العلومِ بحسَبِ الاستعداداتِ بين أهلِ الخصوصِ والعمومِ ، فتباينتِ المراتبُ وتمايزتِ المواهبُ ؛ فظهرَ حكمُ الأسماءِ والصِّفاتِ بما هو منَ الأزلِ كائنٌ إلىٰ ما هو آتٍ ، وعلىٰ آله أبوابِ تلك الحضَرات ، وأصحابه دليلِ هـٰذه الكمالات ، ومَن تبعهم فحاز مقالد السَّعادات .

وبعد :

فنقدِّمُ بين يدي أهل العلم عموماً وأهل التصوِّف خصوصاً رسالةَ « **حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدين** » سطَّرتها بنانُ إمامٍ عارفٍ كاملٍ ، غارفٍ من بحر المعارف الأكبريَّة بواسطة شيخه الأستاذ الهمام سيدي عبدِ الغني النَّابُلُسي قدَّس الله سرَّه ، وهي رسالةٌ تتضمنُ بيانَ عقيدةِ الشَّيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه ، والتي ذكرها

في أوائل كتابه « الفتوحات المكية » ، وأشهدَ عليها اللهَ سبحانه ، فهي عقيدةٌ سُنيَّةٌ سَنيَّةٌ من أوَّلها لآخرها ، كافيةٌ لأهل الإيمان ، **وهي الميزان والباب للدخول إلىٰ منازل الشهود ومراقي العرفان** .

ولا بُدَّ لنا من ذِكر مطالبَ بين يدي تحقيقنا لهـٰذه الرسالة . . تكون كالدِّهليز الذي يُدخل منه إلى الدَّار .










مطلبٌ في شهادة الشيخ الأكبر بهذه العقيدة وإشهاد الخالق والخلق عليها

قال الشيخ محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه ، في أوَّلها :

(فيا إخوتي ويا أحبَّائي رضي الله عنكم : أشهدُكُمْ عبدٌ ضعيفٌ مسكينٌ ، فقيرٌ إلى اللهِ تعالىٰ في كل لحظة وطرفةٍ وهو مؤلِّفُ هـٰذا الكتاب ومنشؤه أشهدَكُمْ علىٰ نفْسهِ ، بعد أن أشهَدَ اللهَ تعالىٰ وملائكته ومَن حَضَرَه منَ المؤمنينَ وسمعه . . أنَّهُ يَشهَدُ قولاً وعقداً : أنَّ اللهَ تعالىٰ إلـٰهٌ واحدٌ لا ثانيَ لهُ في أُلوهيَّتِهِ . . .) .

ثم سردها رضي الله عنه بتمامِها ،كما سننقلها في هـٰذه الرِّسالة مصحَّحةً مدقَّقةً سليمةً منَ التَّصحيفاتِ في المبنىٰ والمعنىٰ .

وقال الشيخ الأكبر بعدما أنهاها ، ليجعلَ هـٰذا الكلامَ حُجَّةً علىٰ كلِّ مَن تلاها :

(فهـٰذه **شهادتي علىٰ نفسي** ، **أمانةً عند كلِّ مَن وصلتْ إليهِ . . أنْ يُؤَدِّيَهَا إذا سُئِلَهَا** حيثما كان ، نفعنا اللهُ وإيَّاكم بهـٰذا الإيمان ، وثَبَّتَنا عليه عند الانتقال من هـٰذه الدَّارِ إلى الدَّارِ الحَيَوَانِ ، وأحلَّنا منها دارَ الكرامةِ والرِّضوانِ ، وحَالَ بيننا وبينَ دارٍ سَرَابِيلُهَا القَطِرَان ، وجعلنا منَ العِصَابَةِ

التي أَخَذَتِ الكُتُبَ بالأَيمَانِ ، ومِمَّنِ انقلبَ منَ الحوضِ وهو رَيَّان ، وثُقِّل له الميزان ، وثَبَتَتْ له على الصِّراط القدمان ، إنَّهُ المُنعِمُ المِحْسَانُ ، فـ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] . . .) اهـ

* * *







مطلب في الداعي لِنشر هذه الرّسالة

والذي دعانا لنشر هـٰذه الرِّسالةِ عِدَّةُ أمورٍ ، نُبيِّنُ أهمَّها :

أوَّلاً : **إيصالُ هـٰذه الأمانة** التي شَهِدَ بها الشيخ الأكبر علىٰ نفْسهِ وأشهدَ كلَّ مَن حضرَ عليها ؛ **إذ هي مُحكَمُ كلامه المبين** ، **وزبدةُ المطلوبِ من عِلم أصول الدِّين** .

ثانياً : **ردعُ طعنِ الطَّاعنينَ والمنكرينَ عليهِ** ؛ حتَّىٰ يَرجِعُوا إلىٰ مُحكَمِ كلام الشيخ فيحملونَ ما تشابه منه عليه ، وإلا فيسعُهم حُسنُ الظَّنِّ بالشيخ ، أو الكَفُّ عنهُ والتوقُّفُ في شأنه ، وطلبُ سلامةِ أنفُسِهم أمامَ الله تعالىٰ .

ثالثاً : **ردعُ جهلِ الجاهلينَ من مُحِبِّي الشيخ الأكبر على الخصوصِ** ، حيثُ يظنُّونَ أنَّ ظاهرَ الشَّرعِ يُخالفُ الباطنَ ، وأَنَّ باطِنَ الشَّرعِ يُنَافِي الظَّاهِرَ ، وهـٰؤلاءِ لم يزيدوا على المنكِرينَ إلاَّ بمحبَّةِ الشَّيخ مَحبَّةَ الجاهلينَ ؛ فقد صدَّقوا فهمَ المنكرينَ على الشَّيخ ، ووافقوا طعنَهُم مِن حيثُ علمُوا أو لم يعلمُوا ، ومِثلُ هـٰذه المحبَّةِ لن تنفعَ صاحبَهَا ، كيف ؛ وقد أدَّت بهم إلى التحلُّلِ منَ الشَّرائِعِ وإلى الإلحادِ ، نعوذ بالله تعالىٰ[1] .

---

(١) انظر كتاب « الوجود الحق والخطاب الصدق » لسيدي الأستاذ العارف عبد الغني =

قال العارفُ باللهِ سيِّدي أحمد زَرُّوق رضي الله عنه : اعتقادُ أنَّ الشَّريعةَ خلافُ الحقيقةِ . . هو من مبادئِ الزَّندقةِ ، ومنهُ خرجتِ الطَّوائفُ كُلُّهَا ، وصارَ الفُرُوعيُّ الجامدُ لا يتوقَّفُ في سَبِّ الصُّوفيَّة ، والمتصوِّفُ الجاهلُ لا يتوقَّفُ في النُّفورِ منَ العِلمِ وأهلِهِ ، ويخالفُ ظاهِرَ الشَّريعَةِ في أمرِهِ ، ويرىٰ ذلك كمالاً في محلِّه(١) .

رابعاً : ذكرُ اعتقادِ أهلِ السُّنَّة والجماعةِ ، وما يجبُ على المكلَّفِ اعتقادُه مِن أصول الدِّين ، كما قال مؤلِّفُ هٰذه الرِّسالة ، وهو العارفُ الغارفُ من بحر المعارف الأكبريَّة ـ بواسطة شيخه القطب عبد الغني النَّابُلُسي قدَّسَ اللهُ سرَّه ـ الشيخُ حسين البيتماني رضي الله عنه ، حيث قال في مقدِّمتها :

(هٰذه رسالةٌ مختَصَرَةٌ نَذكُرُ فيها ما يَتَعَيَّنُ على العَبدِ مِنَ الإيمانِ باللهِ

= النابلسي رضي الله عنه ، من (ص ٢٤٧) إلىٰ (ص٢٦١) ؛ فقد أطال الكلام في نقد هٰؤلاء الزَّنادقة الملاحدة ، فارجع إليه فهو مهمٌ جدّاً .

(١) بتصرُّفٍ من « عدَّة المريد الصَّادق » (ص ٤٦) ، ونحن لا نطعن في نيَّة أحدٍ مِنَ الفقهاء ؛ لطعنهم وتحذيرهم من كلام الشيخ الأكبر ابن العربي والعارف ابن الفارض ، وغيرهما منَ العارفين ممَّن يطول ذكرهم رضي الله عنهم ، فلاشكَّ عندنا في إخلاص العالم الفقيه لا أنصافَ طلبةِ العلْمِ بطعنه بمشكلات القوم والتَّحذير منها ، نُصرةً للشريعة وغيرةً على الحقيقة ؛ لِمَا رأوه ونراه في زمننا **خصوصاً من وراء حجاب ما يُسمَّىٰ مواقع التَّواصل الاجتماعي** من دعواتِ نفوسٍ عريضة ، وتُرَّهاتِ ألسُنٍ سليطة ، ووساوسِ قلوبٍ مريضة ، منَ المحسوبين على الصُّوفية ، الخالين الوِفاض منَ الشريعة وأحكامها ، فضلاً عن كلامهم ودعواهم الحقيقةَ وأحوالَها .

ولٰكنَّ النَّكيرَ يتَّجه على المسارعة في التَّكفير للقوم دون الفهم لكلامهم ، والنَّظر في سِيَرِهم ، وحملِهِم على المحامل الحسنة ، ومن ثَمَّ تشبيههم بالباطنية والزَّنادقة ، الذين يظهرون غير ما يبطنون ، فهٰذا ما لا يُقبَلُ البتة .

تعالىٰ بطريقِ الإجمَالِ في ظَاهِرِ الأمرِ ، كما هو عليهِ أهلُ هـٰذهِ الطَّريقَةِ مِنَ المحققِّينَ ، أهلُ الصَّلاحِ واليَقِينِ والمعرِفَةِ والدِّينِ)

وهـٰذا يؤكِّدُ أيضاً ما سنذكره من أنَّ هـٰذه العقيدةَ هي اعتقادُ القومِ في ظاهرِهِم وباطنِهِم ، وهي ميزانٌ لا ينفكُّ عنهم ، وطريقٌ لا يحيدونَ عنهُ ؛ ولذلك سمَّاها الشَّيخ البيتماني بـ : « **حَبلُ اللهِ المتِين** »

وزاد بالتَّأكيدِ ، فقال :

(فاعلمْ ذلك يا أخي ، وتمسَّكْ بها ؛ فإنَّها السَّعادةُ العُظمىٰ في الدَّارينِ ، ومَن تَمَسَّكَ بها فقد نجا) .

وقال رضي الله عنه :

(إذ هي عقيدةٌ جامعةٌ للإيمانِ في الدُّنيا والآخرة ، وقد شَهِدَ الشيخ قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ على نفْسِهِ أنَّهُ علىٰ تلك العقيدةِ ، كما ستراها قريباً إن شاء اللهُ تعالىٰ ، وشهدنا لَهُ بذلك) .

وزادَ أكثَرَ بالتَّأكيدِ ؛ لمنعِ فَهمِ كُلِّ مُتخرِّصٍ وعنيدٍ ، فقال رحمه الله تعالىٰ :

(وأنا قد أشهدتُ أيضاً علىٰ نفْسي أنِّي علىٰ هـٰذه العقيدة من غيرِ تبديلٍ ولا تغييرٍ ، وقد قرأتُ هـٰذه العقيدةَ في مجلسِ شيخنا الشَّيخ عبد الغنيِّ ـ المذكور ـ حفظهُ اللهُ تعالىٰ ، وكان مجلساً حافلاً ، وظهرتْ منهُ هيبةٌ عظيمَةٌ . اقشَعَرَّتْ منها الجلودُ ، واطمأنَّتْ بها القلوبُ ، وقد أشهدتُ شيخيَ ـ المذكور ـ في ذلك الوقتِ علىٰ نفْسي بأنِّي علىٰ هـٰذه العقيدةِ ظاهراً وباطناً . فشهدَ لي ـ ولله الحمدُ ـ بذلك ، وإنِّي لأرجو مِمَّن

يقفُ علىٰ هـٰذه العقيدةِ منَ الإخوانِ . . أن يشهدَ لي بها في الآخرة عند الله تعالىٰ ، وإنِّي أُطالبُهُ يومئذٍ بهـٰذه الشَّهادةِ ، واللهُ خيرٌ حافظاً وهو أرحم الرَّاحمين ، وسمَّيتُهَا : « **حَبلُ اللهِ المتين في عقيدةِ الشَّيخ الأكبَرِ مُحي الدِّين** ») . انتهى

فانظُر يا أخي إلىٰ ما تقدَّمَ بِعَينِ الإنصافِ ، وَدَع عنكَ أهواءَ النُّفوسِ الَّتي تَجُرُّ لِلفُرقَةِ والاختِلافِ ، ولا تَحكُمْ بِظُنُونِكَ بَعد وضوح هـٰذه الكلمات ، وانظر لموقفِكَ بين يَدَي رَبِّ الأرضين والسَّماوات ؛ فإنَّك عنه مسؤول ، واللهُ شهيدٌ علىٰ كلِّ ما نقول .

خامساً : إفادةُ هـٰذه الرِّسالة لكيفيَّةِ السُّلُوكِ من طريقِ الإجمالِ إلى التَّفصيلِ ، والتَّفصِيلُ هو : الذَّوقُ والكَشفُ والشُّهودُ ، كما هو مُقَرَّرٌ في كُتُبِ القَومِ ورسائِلِهم رضي الله عنهم ؛ إذ لاشكَّ بأنَّ **الإيمانَ مراتِبٌ** ، **أدناه** ما يحصلُ **للعوامِّ** بطريق الجزمِ والتَّصديقِ ، **وأوسطُه** ما يحصلُ **للمتكلمينَ** بطريق الدَّليل ، **وأعلاه** ما يحصلُ **للعارفينَ** بطريق الكشفِ والشُّهود[١] ، والأخيرُ أيضاً مراتبُ إلىٰ غيرِ حَدٍّ ونهايةٍ ؛ لأنَّ مُتعلَّقَ

---

(١) وكون إيمان المتكلمين أدنىٰ مرتبةً من إيمان العارفين . . أثار حفيظة البعض ؛ ظانّاً أنَّها سُبَّةٌ ومنقصةٌ للكلام وأهله ، وهـٰذا ظنُّهم ، فنسوق لهم بعض كلامِ إمامٍ خاض بحارَ العلوم ، ومنها علم الكلام حتىٰ لُقِّب بحجة الإسلام ، قال رضي الله عنه في « الإحياء » (٨/ ٢٠٤) : (لم يفارقِ المتكلِّمُ العامِّيَّ في الاعتقادِ ، بل في صنعةِ تلفيقِ الكلام . . .) .

وقال أيضاً في « الأربعين في أصول الدين » (ص ٤١٣) : (الاعتقاد بالقلب جزماً : وهو درجة عوامِّ الخلق ودرجة المتكلمين ؛ إذ لا يتميَّزون عنِ العوامِّ إلا بمعرفة الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هـٰذه الاعتقادات) . =

المعرفةِ هو الحقُّ ، وليس للحَقِّ وتجلِّيَاتِهِ حَدٌّ ولا حَصرٌ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه : ١١٤] .

وقد يحصلُ للعامِّيِّ الجازِمِ بالتَّصديقِ بطريقِ الإجمالِ ، السَّالكِ طريقَ الوصولِ إلى الكريم المتعَالِ . . الدُّنوَ إلى التَّفصيلِ دونَ معرفةِ الطَّريق الوَسَطِ ، أي : طريقِ الدَّليلِ ؛ بل قد يُشَوِّشُ طريقُ الدَّليلِ والبرهانِ عليهِ سلوكَهُ ومقصِدَ هِمَّتِهِ ، ويكونُ حِجَاباً له كما ذَكَرَ ذلِكَ حُجَّةُ الإسلام الغزالي بمواضعَ متعدِّدَةٍ مِن كُتُبِهِ[١] .

= وقال في « الإحياء » (٥/٥٦) أيضاً : (إيمان المتكلِّمين : وهو ممزوجٌ بنوعِ استدلالٍ ، ودرجتُهُ قريبةٌ من درجةِ إيمان العوامِّ) .

(١) قال حجة الإسلام في « الإحياء » (١/٣٤٢) : (نعم ، يكونُ الاعتقادُ الحاصلُ بمجرَّدِ التقليد غيرَ خالٍ عن نوعٍ منَ الضعفِ في الابتداء ، على معنى أنَّهُ يقبلُ الإزالةَ بنقيضِهِ لو أُلقيَ إليهِ ، ولا بدَّ من تقويتِهِ وإثباتِهِ في نفس الصبيِّ والعاميِّ حتى يترسَّخَ ولا يتزلزل .

وليس الطريقُ في تقويته وإثباته أن يُعلَّمَ صنعةَ الجدلِ والكلامِ ، بل يشتغلُ بتلاوةِ القرآنِ وتفسيرِهِ ، وقراءةِ الحديثِ ومعانيهِ ، ويشتغلُ بوظائفِ العباداتِ ، فلا يزالُ اعتقادُهُ يزدادُ رسوخاً بما يقرعُ سمعَهُ من أدلَّةِ القرآنِ وحُجَجِهِ ، وبما يردُ عليهِ من شواهدِ الأحاديثِ وفوائدِها ، وبما يسطعُ عليهِ من أنوارِ العباداتِ ووظائفِهَا ، وبما يسري إليهِ من مُشاهدَةِ الصَّالحينَ ومُجالسَتِهم ، وسيماهُم وسماعِهِم وهيئاتِهِم ؛ في الخضوعِ للهِ عزَّ وجلَّ ، والخوفِ منهُ ، والاستكانَةِ لهُ ، فيكونُ أوَّلُ التَّلقينِ كإلقاءِ بذْرٍ في الصَّدرِ ، وتكونُ هـٰذه الأسبابُ كالسَّقي والتَّربيةِ لهُ حتَّى ينموَ ذلكَ البذرُ ويقوىٰ ، ويرتفعَ شجرةً طيِّبةً راسخةً ، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماءِ .

وينبغي أن يُحرَسَ سَمعُهُ مِنَ الجدلِ والكلامِ غايةَ الحِراسةِ ؛ فإنَّ ما يُشوِّشُهُ الجَدَلُ أكثرُ ممَّا يُمهِّدُهُ ، وما يُفسدُهُ أكثرُ ممَّا يُصلِحُهُ ، بل تقويتُهُ بالجدَلِ تُضاهي ضرْبَ الشَّجرةِ بالمِدَقَّةِ منَ الحديدِ رجاءَ تقويَتِها بأن تكتَنِزَ أجزاؤها ، وربَّما يُفتِّتُها ذلكَ ويُفسدُها ، وهو الأغلبُ ، والمشاهدةُ تكفيكَ في هـٰذا بياناً ، وناهيك بالعِيانِ بُرهاناً . =

= فَقِسْ عقيدةَ أهلِ الصَّلاحِ والتُّقى مِن عوامِّ النَّاسِ بعقيدةِ المُتكلِّمينَ والمُجادلينَ ؛ فترى اعتقادَ العاميِّ في الثَّباتِ كالطودِ الشَّامخِ ، لا تُحرِّكُهُ الدَّواهي والصواعقُ ، وعقيدةَ المُتكلِّمِ الحارسِ اعتقادَهُ بتقسيماتِ الجدلِ . . كخيطٍ مُرسَلٍ في الهواءِ تسفيهِ الريحُ مرَّةً هٰكذا ومرَّةً هٰكذا ، إلا مَن سَمِعَ منهم دليلَ الاعتقادِ فتَلقَّفَهُ تقليداً كما تلَقَّفَ نفسَ الاعتقادِ تقليداً ؛ إذ لا فرقَ في التَّقليدِ بين تعلُّمِ الدَّليلِ أو تَعلُّمِ المدلول ، فتلقينُ الدليلِ شيءٌ والاستدلالُ بالنَّظرِ شيءٌ آخرُ بعيدٌ عنه .

ثُمَّ الصَّبيُّ إذا وقعَ نشوؤه علىٰ هٰذهِ العقيدةِ :

إن اشتغلَ بكسبِ الدُّنيا . . لم ينفتحْ لهُ غيرُها ، ولٰكنَّهُ يَسلمُ في الآخرةِ باعتقادِ أهلِ الحقِّ ؛ إذ لم يُكلِّفِ الشرعُ أجلافَ العربِ أكثرَ من التَّصديقِ الجازمِ بظاهرِ هٰذهِ العقائدِ ، فأمَّا البحثُ والتَّفتيشُ وتكلُّفُ نَظمِ الأدلَّة فلم يُكلِّفُوهُ أصلاً .

وإنْ أرادَ أن يكونَ مِن سالكي طريقِ الآخرةِ ، وسَاعدَهُ التَّوفيقُ حتَّى اشتغلَ بالعملِ ، ولازمَ التَّقوىٰ ، ونَهى النَّفسَ عن الهوىٰ ، واشتغلَ بالرِّياضةِ والمُجاهدةِ . . انفتحتْ لهُ أبوابٌ مِن الهدايةِ تكشِفُ عن حقائقِ هٰذهِ العقيدةِ بنورٍ إلٰهيٍّ يُقذفُ في قلبِهِ بسببِ المجاهدةِ ؛ تحقيقاً لوعدِهِ عزَّ وجلَّ إذ قال : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصِّديقين والمقرَّبين) اهـ ، **فانظره فإنَّه مفيدٌ جداً .**

ويشبهه كلام الشيخ الأكبر في أوَّل « فتوحاته المكية » (١/ ٣١) **إذ يقول :**

(ربَّما وقع عندي أن أجعلَ في هٰذا الكتاب أوَّلاً فصلاً في العقائدِ المؤيَّدة بالأدلَّة القاطعةِ والبراهينِ السَّاطعةِ ، ثم رأيتُ أنَّ ذلك تشغيبٌ على المتأهِّب الطالبِ للمزيد ، المتعرِّض لنفحات الجودِ بأسرارِ الوجود ؛ فإنَّ المتأهِّبَ إذا لزم الخلوةَ والذِّكرَ ، وفرَّغ المحلَّ مِنَ الفكرِ ، وقعدَ فقيراً لا شيء له عندَ باب ربه . . حينئذٍ يمنحُهُ الله تعالىٰ ويعطيه مِنَ العِلم به ، والأسرارِ الإلٰهيَّة ، والمعارفِ الرَّبانيَّة التي أثنى اللهُ سبحانه بها علىٰ عبده خَضِر ، فقال : ﴿عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف : ٦٥] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقال : ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[الأنفال : ٢٩] ، وقال : ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد : ٢٨] . =





* * *

= قيل للجنيد : بما نِلتَ ما نِلتَ ؟ فقال : بجلوسي تحت تلك الدَّرَجَة ثلاثين سنة) اهـ

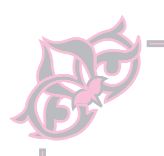
وقال أيضاً في مقدِّمة « الفتوحات » (١/ ٣٤ـ ٣٥) :

(ثم نرجعُ إلى السَّببِ الذي لأجله منَعْنا المتأهِّبَ ـ لتجلي الحقِّ إلىٰ قلبهِ ـ مِنَ النَّظرِ في صِحَّة العقائد من جهة عِلمِ الكلام ، فمن ذلك أنَّ العوامَّ ـ بلا خلاف من كلِّ متشرِّعٍ صحيحِ العقلِ ـ عقائدُهم سليمةٌ ، وأنَّهم مسلمونَ ، مع أنَّهم لم يطالعوا شيئاً من عِلمِ الكلام ، ولا عرفوا مذاهبَ الخُصوم ، بل أبقاهمُ الله تعالىٰ علىٰ صِحَّة الفِطرة ـ وهو العلم بوجود الله تعالىٰ ـ بتلقين الوالد المتشرِّع أو المربِّي ، وإنَّهم مِن معرفةِ الحقِّ سبحانه وتنزيههِ . . علىٰ حُكمِ المعرفة والتَّنزيه الوارد في ظاهر القرآن المبين ، وهم فيه بحمد الله علىٰ صِحَّةٍ وصوابٍ ما لم يتطرَّق أحدٌ منهم إلى التَّأويل ، فإنْ تطرَّقَ أحدٌ منهم إلى التَّأويل . . خرجَ عن حُكمِ العامَّة ، والتحَقَ بصنفٍ ما مِن أصناف أهل النَّظر والتَّأويل ، وهو علىٰ حَسَب تأويله ، وعليه يلقى اللهَ تعالىٰ ؛ فإمَّا مصيبٌ ، وإمَّا مخطئٌ بالنَّظر إلىٰ ما يُناقضُ ظاهرَ ما جاء به الشَّارع .

فالعامَّةُ ـ بحمد الله ـ سليمةٌ عقائدُهُم ؛ لأنَّهم تَلَقَّوها ـ كما ذكرناه مِن ظاهر الكتاب العزيز ـ التَّلقِّي الذي يجبُ القطعُ به ؛ وذلك أنَّ التَّواترَ مِنَ الطُّرق الموصلة إلى العِلم ، وليس الغرضُ مِنَ العِلم إلا القطعُ على المعلوم أنَّه علىٰ حدِّ ما علمناه من غير ريبٍ ولا شكٍّ . والقرآن العزيز قد ثبتَ عندنا بالتَّواتر أنَّه جاء به شخصٌ ادَّعىٰ أنَّه رسولٌ مِن عند الله تعالىٰ ، وأنَّه جاء بما يدلُّ علىٰ صِدقه ، وهو هـٰذا القرآن ، وأنَّه ما استطاعَ أحدٌ علىٰ معارضته أصلاً ؛ فقد صحَّ عندنا بالتَّواتر أنَّه رسولُ الله إلينا ، وأنَّه جاء بهـٰذا القرآن الذي بين أيدينا اليومَ ، وأخبر أنَّه كلامُ الله ، وثبتَ هـٰذا كلُّه عندنا تواتراً ؛ فقد ثبتَ العِلمُ به أنَّه النَّبأُ الحقُّ والقولُ الفصلُ .

والأدلَّة سمعيةٌ وعقليةٌ ، وإذا حَكَما علىٰ أمرٍ بحُكمٍ ما . . فلا شكَّ فيه أنَّه علىٰ ذلك الحُكم ، وإذا كان الأمرُ علىٰ ما قُلنَاه . . فيأخذُ المتأهِّبُ عقيدَتَه مِنَ القرآن العزيز ، وهو بمنزلةِ الدَّليل العقليِّ في الدَّلالة ؛ إذ هو الصِّدقُ الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] ، فلا يحتاجُ المتأهِّبُ مع ثبوت هـٰذا الأصل إلىٰ أدلَّةِ العقول ؛ إذ قد حصل الدَّليلُ القاطعُ الذي عليه السَّيفُ معلَّق) اهـ المراد منه .






مطلب في مفهوم عقيدة العوام وعقيدة الخواص، وخواص الخواص

هـٰذا التَّقسيمُ ليس بِدْعَاً منَ القول ابتدعه الشَّيخُ الأكبر محيي الدِّين ابن العربي رضي الله عنه . . حتَّىٰ يقولَ الشَّيخُ حسينُ بن عبدِ الرَّحمـٰن الأهدَل الشَّافعي رحمه الله تعالىٰ ـ منتقِداً الشيخَ الأكبر ـ في كتابه « كشف الغطاء عن حقائق التَّوحيد وعقائد المُوحِّدين »[١] :

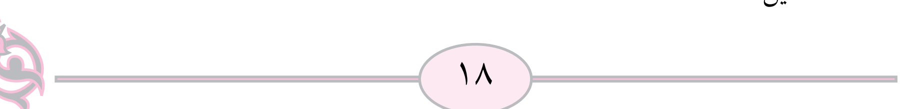
أَثبَتَ في صدر كتابه « الفتوحات المكيَّة » ثلاثَ عقائد :

عقيدةٌ للعوامِّ منَ المسلمين من غير نظرٍ ولا برهان ، هـٰكذا قال ؛ **إشارةً إلىٰ تضعيفها** .

وعقيدةٌ للخواصِّ ؛ أي : وهي عقيدةُ الفلاسِفَةِ . وعقيدةٌ لخواصِّ الخواصِّ ، ولـٰكنَّه قال : جَعَلْتُهَا مُبَدَّدَةً في الكتاب ؛ لأنَّها أمرٌ فوقَ هـٰذا . وأراد بها عقيدةَ نفسِهِ وأمثالِهِ مِنَ الملاحِدَةِ ، وكذلك جَعَلوا

---

(١) ص (١٨٢) طبعة تونس (١٩٦٤ م) ، وقد ذكرنا اسم الكتاب مختصراً ، أمَّا اسمه كاملاً فهو : « كشف الغطاء عن حقائق التَّوحيد وعقائد الموحِّدين ، وذكر الأئمة الأشعريِّين ، ومَن خالفهم منَ المبتدعين ، وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين ، وبيان كفر الحشَويَّة المشبِّهة ، والمجسِّمة ، والحُلوليَّة ، والاتحاديَّة الملحدين ، منَ المتصوِّفة المارقين ، وسائر المرتدِّين ، والحثِّ علىٰ ملازمة السُّنَّة واتباع السَّلف الصَّالحين » .



الشُّهودَ ثلاث مراتب ، وكذلك جعلوا المعرفةَ ، والتَّوحيدَ ، والفناءَ ، والبقاءَ ، كلَّها ثلاث مراتب ، للعامَّة وللخاصَّة ولخاصَّة الخاصَّة ، وغَلَوا وطَغَوا . اهـ

وقال الشيخ الأهدل أيضاً في كتابه المذكور : وليُحذر من قول ابن عربي المُلحِد : إنَّ العقائد ثلاث : عقيدة العوامِّ ، وعقيدة الخواصِّ ، وعقيدة خواصِّ الخواصِّ ؛ فإنَّه أراد بالخواصِّ . . الفلاسفةَ ، وبخاصَّة الخواصِّ . . أهلَ الاتحاد ، وكلا العقيدتين فيهما الكفر الصَّريح ، فاعلم ذلك واعتمد عقائد الأئمة المتقدِّمة فهي الحقُّ والحقيقة[1] اهـ

نقول : بل هو تقسيم شائعٌ ذائعٌ في كتب القوم رضي الله تعالىٰ عنهم ، كـ« اللُّمع » للإمام الطُّوسي ، و« التَّعرف » للإمام الكَلاَبَاذِي ، و« قوت القلوب » للإمام أبي طالب المكِّي ، و« الرِّسالة القشيرية » للإمام أبي القاسم القُشَيري ، و« عوارف المعارف » للإمام السُّهرَوَرْدِي ، فهٰذه أمَّاتُ كتُب التَّصوف المتقدِّمة ، تكلَّمَ الأئمةُ فيها عن هٰذا التَّقسيم ، وجعلوه علىٰ ثلاث مراتب ، فَلِمَ الإنكارُ على الشيخ الأكبر ابن العربي في صنيعه[2] ؟!

والعجبُ منَ استشهادِ الشَّيخ الأهدل رحمه الله تعالىٰ في كتابه المذكور آنفاً ، بـ« الرِّسالة القشيرية » وبـ« إحياء علوم الدِّين » في أكثر من

---

(١) « كشف الغطاء » (ص١٠٠) طبعة تونس (١٩٦٤ م) .

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال لا الحصر « اللمع » (ص ٤٢٤) ، و« التَّعرف » (ص ٣٨) ، و« قوت القلوب » (٣/ ١١٨٧) ، و« الرسالة القشيرية » (ص٦٢٠) ، والأمر أوضح من أن يُدلَّ عليه ؛ لاستفاضته وشهرته في كتب القوم رضي الله عنهم .

موضع ، ثم ينكر على الشَّيخ الأكبر وأمثاله رضي الله عنهم تقسيمَهم المعرفة ، والتَّوحيد ، والفناء ، والبقاء ، على ثلاث مراتب : للعامَّة ، وللخاصَّة ، ولخاصَّة الخاصَّة ، ثم يصف فعلهم بالغلوِّ والطُّغيان !!

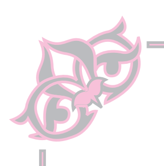
فإمَّا أنَّه لم يقرأ « الرِّسالة القشيرية » و« الإحياء » ـ وهٰذا بعيدٌ لاستشهاده بهما ونقلِهِ عنهما ـ أو أنَّه قرأهما ولٰكنَّ العصبيَّةَ حَمَلَتهُ على التَّعامي عن كلامهما في عين ما أنكره على الشَّيخ الأكبر ابن العربي(١) .

وأما قولُ الشَّيخِ الأهدلِ عن عقيدة العوامِّ التي أثبَتَهَا الشيخُ الأكبر في صدر « الفتوحات » : (**إشارةً إلىٰ تضعيفها**) ، يقصد سببَ تسمية الشَّيخ الأكبر للعقيدة بـ(عقيدة العوامِّ) من غير نظرٍ ولا برهان . . فمردودٌ بما سنوضحُه في هٰذه المقدِّمة ، وما سمَّاها الشيخ الأكبر بـ(عقيدة العوامِّ) ؛ إلا لأنَّها واجبةٌ تعمُّ جميع المسلمين ، وبذلك سمَّاها حجَّة الإسلام الغزالي في أوائل كتابه « إحياء علوم الدين » .

* * *

---

(١) المقام لا يتَّسع لنقل كلام الإمام القشيري رضي الله تعالىٰ عنه من « رسالته » ، ولٰكن نحيل القارئ إلىٰ صفحات الكتاب ، انظر كلامه في تقسيم المعرفة (ص ٦٣٨) ، وكلامه في تقسيم التَّوحيد (ص٦٢٠) وما بعدها ، وكلامه في تقسيم الفناء والبقاء (ص ٢٥٦) .




مطلب في معنى الأقسام

إنَّ هـٰذه الأقسام تُطلَقُ ويُرَادُ بها مراتِبُ الإيمانِ والمعرفةِ ودرجاتِهما ؛ إذ لا شكَّ في أنَّ العقيدةَ واحدةٌ ، لـٰكنَّ الإيمانَ ثُم التحقُّقَ به . . مراتبُ ودرجاتٌ .

قال حجَّة الإسلام رضي الله عنه :

المرتبة الأولىٰ : إيمانُ العَوامِّ : وهو إيمانُ التقليدِ المحضِ .

والثانية : إيمانُ المتكلِّمين : وهو ممزوجٌ بنوعِ استدلالٍ ، ودرجتُهُ قريبَةٌ مِن درجةِ إيمانِ العوامِ .

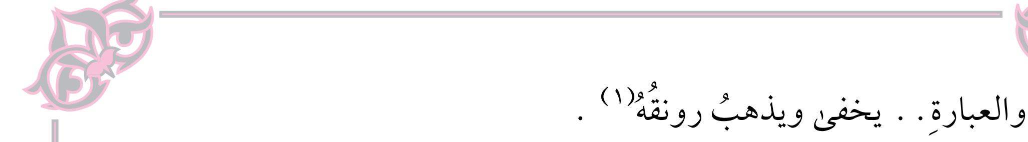
والثالثة : إيمانُ العارفينَ : وهو المشاهَدَةُ بنورِ اليَقِينِ[1] .

وبالرجوع إلىٰ كتاب « اللُّمَع » للإمام أبي سراج الطُّوسي قُدِّسَ سِرُّهُ فسوف نجده يتحدثُ عن توحيدِ العامَّةِ ، وتوحيد الخاصَّةِ ، وتوحيدِ أهلِ الحقائقِ على الظَّاهِرِ ، ولسانِ توحيدِ الواجِدِينَ ؛ أي : تَوحيدِ خاصَّةِ الخاصَّةِ ، حيث قال عنه : وإشارتُهُم في ذلك تَبعُدُ عنِ الفهمِ . . . وهـٰذا العلمُ أكثرُهُ إشارةٌ لا تخفىٰ علىٰ مَن يكونُ أهلَهُ[2] ، فإذا صارَ إلى الشَّرحِ

---

(١) « إحياء علوم الدين » (٥/٥٦) .

(٢) قال الإمام القشيري رضي الله عنه ، في « التحبير » (ص ٦١) : (اعلم أنَّ هـٰذه الألفاظ . . توهمُ ظاهرُها لمن لم يمارس علوم هـٰذه الطائفة ، وأمَّا مَن عرف حقائق =



والعبارةِ . . يخفى ويذهبُ رونقُهُ[1] .

وقال الإمامُ السَّيد أحمد الرِّفاعيُّ الحسينيُّ رضي الله عنه : فأهلُ المعرفةِ **عامَّتهُمْ يعرفونَهُ علىٰ سبيلِ الخبرِ في التَّوحيد** عنِ الصَّادق الأمين ، سيِّدِنا وسيِّدِ العالمين محمد صلى الله عليه وسلم . . فصدَّقوهُ بقلوبهم ، وعملوا بأبدانِهِم ، إلاَّ أنَّهُم **دنَّسُوا أنفُسَهُم بالذُّنوبِ والمعاصي** . . **فعاشوا** في الدُّنيا علىٰ **الجهلِ والتَّقصيرِ** ، فهمْ علىٰ خطرٍ عظيمٍ ، إلاَّ أن يرحَمَهُم أرحمُ الرَّاحمين .

وأُناسٌ **فوقَهُم يعرفونَهُ بالدَّلائِلِ** ، وهم **أهلُ النظرِ والعقلِ والفِكْرِ** ، أيقنوا بالتَّوحيدِ من قِبَلِ الدَّلائِلِ والآيات وآثارِ الرُّبوبيَّةِ ، استدلُّوا بالشَّاهد على الغائبِ ، واستيقنُوا صحَّةَ الدَّلالةِ . . **فَهُمْ علىٰ طريقٍ حَسَنٍ** ، إلاَّ أنَّهُم **عاشُوا محجوبينَ** عنِ اللهِ تعالىٰ **برؤيةِ دلائلِهِمْ** .

= الأصول وشمَّ شيئاً من علومهم . . فإنَّه يقف علىٰ معانيها ، ويفهم مرموزهم فيها ، وحاشا الأولياء العارفين أنَّ كلامهم يعترض فيه محقِّقٌ) .

وقال الإمام الكلاباذي رضي الله عنه في كتابه « التعرُّف » (ص ٦٠) : (إنَّما قيل : علم الإشارة ؛ لأنَّ مشاهدات القلوب ومكاشفات الأَسرار . . لا يمكن العبارةُ عنها على التَّحقيق ؛ بل تُعلمُ بالمنازلات والمواجيد ، ولا يعرفُهَا إلاَّ مَن نازل تلك الأحوال ، وحلَّ تلك المقامات) .

فلا تُعلمُ مصطلحاتُ عِلم القومِ بقراءة ما كتبوه من كتبٍ ورسائلَ في ذلك ، كما يظنُّ البعض ، وإنَّما تُعلم بالسُّلوك علىٰ يد شيخٍ كاملٍ مُربٍّ ، يسيرُ به في سَفَرِ السُّلوك إلىٰ حضرة مِلك الملوك .

(١) **انظر** « اللمع » ، (باب التوحيد ، وصفة الموحِّد ، وحقيقته ، وكلامهم في معنىٰ ذلك) من (ص ٤٩ إلىٰ ص٥٥) **لزوماً ، فهو مهمٌّ جداً لِمَا نحن بصدده ، ولولا الاختصار لنقلناهُ جميعَه** .

وخواصُّ أهلِ المعرفةِ من أُلي اليقين **عرفوهُ بِهِ** سبحانه.. فوقفوا متمكِّنينَ مع معرفتِهِمْ ، **لا تخطَفُهُم الأدلَّةُ** ، **ولا تصرِفُهُم العِلَّةُ** ، دليلُهُم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، وإمامُهُم القُرآنُ ، ونورُهُم يسعى بين أيديهِمْ[1] .

وقال الإمامُ العلاَّمةُ برهانُ الدِّين اللَّقَاني رضي الله عنه في شرحه على جوهرته الموسومِ بـ « هداية المريد لجوهرة التوحيد » : **للتوحيدِ ثلاثُ مراتبَ** :

الأولى : الحكمُ بالدَّليلِ أنَّ اللهَ واحدٌ .

الثانية : العِلمُ بالدَّليلِ أنَّ اللهَ واحدٌ .

الثالثة : غَلَبَةُ رُؤيتِهِ تعالى على قلبِ العارِفِ حتى لا يشهدَ سواهُ . فالأُولى توحيدُ المؤمنِ ، والثانية توحيدُ العالِمِ ، والثالثة توحيدُ العارِف . اهـ

وقال رضي الله عنه عند قولِهِ : (للتوحيد ثلاث مراتب.. الخ) :

ثُمَّ رأيتُ في بعض الأوراق ما نصُّهُ : واعلم أنَّ للتوحيدِ مراتب :

أوَّلُها : توحيدُ اللسانِ مع تصديقِ القلبِ ، وهو قولُ : لا إلـٰه إلا الله ، وهـٰذا القولُ يدفعُ الشِّركَ الجليَّ وما يترتَّبُ عليه ، لا غير .

وثانيها : أن لا يشاهدَ ـ القائلُ ـ فاعلاً ومتصرِّفاً في الوجود إلاَّ الله ، وهو توحيدُ الأفعالِ .

وثالثها : أن لا يشاهدَ صفةً كماليَّةً إلا للهِ ، وهو توحيدُ الصِّفاتِ .

---

(١) « حالة أهل الحقيقة مع الله » (ص ٣٧) .

ورابعها : أن لا يشاهدَ لشيءٍ ذاتاً ووجوداً إلاَّ للهِ ، وهو توحيدُ الذَّاتِ ، فالطَّالبُ مادامَ في نظرِهِ لشيءٍ فعلاً أو صفةً أو ذاتاً ووجوداً ـ وإن كان قائلاً بكلمة الشَّهادة ـ فهو مشركُ الشِّركَ الخفيَّ ، ولا مَخلَصَ منهُ إلاَّ عند استِهلاكِ ما سوى اللهِ في نظرِهِ ذاتاً ووجوداً وصفةً وفعلاً ، فإذا استَهلكَ كلَّ ما في الوجود . . سُمِّيَ بالغيرِ عندَهُ ، وفَنِيَ نفْسُهُ عن رؤيةِ الاستهلاكِ هـٰذا أيضاً . . بقِيَ الحقُّ وحدَهُ ، ثُمَّ في ثاني النَّظرِ يرى الأشياءَ كُلَّها باقيةً بالحقِّ ، موجودةً بوجودِهِ ، قائمةً بقيُّوميَّتِهِ ، مظاهِراً لذاتِهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ ، فيكونُ بالخلقِ والحقِّ ، ولا يلزمُ هـٰذا . . الشِّركَ الخفيَّ ؛ فإنَّهُ لا يرى الأشياءَ كُلَّها إلاَّ مظاهرَ الرُّبوبيَّةِ الإلـٰهيَّة ، **لا أنَّها حقائقُ موجودةٌ سوى الحقِّ كما كان يرىٰ أوَّلَ وَهْلَةٍ**[1] .

قلنا : هـٰذه بعض النصوص عن عقائد العامَّة والخاصَّة ومفهومِهما ، وقد فصَّلَ حُجَّةُ الإسلامِ الكلامَ عنها في « الإحياء » ، وجعلَ (**للتَّوحيد أربعُ مراتبَ ، وهو ينقسمُ إلىٰ لُبٍّ ، ولُبِّ اللُّبِّ ، وإلىٰ قِشرٍ ، و قِشرِ القِشرِ**)[2] ، وشرَحَهَا ومَثَّل لها ، فراجِعها من موضِعِها ؛ فإنَّما قصَدنا الاختصار في هـٰذه المقدِّمة ، ولذا تركنا الكثيرَ من كلام الأئمةِ في هـٰذا الشأن .

* * *

---

(١) « هداية المريد لجوهرة التوحيد » (ص٨٥) .

(٢) « إحياء علوم الدين » (٨/ ٢٠٢) .






مطلب هل تتنافى هذه المراتب مع بعضها بعضًا ؟

الجواب : نعم ؛ تتنافى عقيدةُ الخواصِّ[1] مع عقيدةِ العوامِّ . . من حيث الظَّاهِرُ ، لا من حيث الحقيقَةُ ؛ أي : في نفْسِ الأمر .

والتَّنافي من حيث الظاهرُ سببه تفاوتُ الإدراكاتِ بين العُمومِ والخُصوصِ ؛ فإنَّ لخواصِّ أهلِ اللهِ تعالىٰ إدراكاتٌ مُطلَقةٌ غيرُ مُقيَّدةٍ بعالَمِ الحِسِّ منَ الزَّمان والمكان والألوان والأكوان ؛ بل إدراكاتهم محضُ نورٍ ينظرونَ به ما غابَ عن سواهم (منَ المعارف الرَّبانية التي يقصر دونها الرُّوح العقلي والفكري)[2] ، فهم ينظرون بنور الله .

وهـٰذا الإدراكُ هو ما اصطُلِحَ عليه عندهم بأنَّه طَورٌ فوق طورِ العقول ، ومن هـٰذا التَّفاوتِ يَظُنُّ المقيَّدُ بطَور العقل أنَّ ما يتكلمُ به أصحابُ الإدراك المخصوص . . منَ المُحالات ؛ لأنَّه لا يجدُ في إدراكه ما أخبروا به ؛ بل قد يُقيم ما يتوهَّم أنَّه براهينُ عقليَّةٌ علىٰ إحالة كلامِهم !

وقد ضربَ حجَّةُ الإسلام لذلك مثالاً ، فقال :

ولو قيل لواحدٍ : هل يجوزُ أن يكون في الدُّنيا شيءٌ هو مقدار حبَّةٍ

---

(١) عندما نطلق هنا القول بعقيدة الخواصِّ . . فنعني الرُّتبة ، ويتفرَّع عنها عقيدة خواصِّ الخواصِّ أيضاً .

(٢) « مشكاة الأنوار » (ص ٧٧) ، لحُجَّة الإسلام الغزالي .



يُوضَعُ في بلدةٍ ، فيأكلُ تلك البلدةَ بجُملتها ، ثُم يأكلُ نفْسَهُ ، فلا يبقىٰ شيءٌ منَ البلدة وما فيها ، ولا يبقىٰ هو نفسه . . لقال : هـٰذا مُحالٌ ، وهو منَ الخرافات !!

وهـٰذه حالةُ النَّارِ ، يُنكرُها مَن لم يَرَ النَّارَ إذا سمعها[1] .

ومن هنا قال حجَّةُ الإسلام في « مشكاته » : فلا يبعدُ أيها العاكفُ في عالَمِ العقل . . أن يكون وراءَ العقل طَورٌ آخَرَ يظهرُ فيه ما لا يظهرُ في العقل ، كما لا يبعدُ كونُ العقل طَوراً وراءَ التَّمييزِ والإحساسِ تنكشف فيه غرائبُ وعجائبُ يقصُر عنها الإحساسُ والتمييزُ ، **ولا تجعل أقصى الكمالِ وقْفاً علىٰ نفسك**[2] .

ونضربُ أمثلةً على الفرق بين فهمِ التَّوحيد وذَوقِه ، وما يظهرُ منَ التَّنافي بينهما ؛ فكما قيل : بالمثالِ يتَّضحُ المقالُ .

كقولِنا ـ مثلاً ـ في عقيدة العوامِّ ، التي هي الأصل : التَّوحيد واجبٌ علىٰ كُلِّ مُكلَّفٍ ؛ أي : العِلمُ بأنَّ اللهَ واحدٌ .

ثُم نجدُ بعضَ أهلِ الله العارفين يقول : **مَن وحَّدَ . . فقدْ ألحَدَ** !!

لا شكَّ أنَّ ظاهر العبارتين معاً متناقضٌ ، فمَن يَسمعُ أو يَقرأُ كلامَ هـٰذا العارفِ من دونِ عِلمٍ بمداركِهِ وأذواقِهِ النَّاتجةِ عنِ المشاهدة . . فَسيتَّهِمُهُ بالزَّندقةِ وهدمِ الشَّرائع ؛ إذ كيف يقول : مَن وحَّدَ . . فقدْ ألحَدَ ، في حينِ أنَّ الشَّريعةَ جاءتْ بالتَّوحيدِ وأوجبَتْهُ على المكلَّفينَ ؟!

---

(١) « المنقذ من الضلال » (ص١٢٣) .

(٢) « مشكاة الأنوار » (ص ٧٧) .

هـٰذا مثالٌ للتَّنافي الظَّاهرِ بين عقائدِ العوامِّ وعقائدِ الخواصِّ من أهلِ اللهِ ، والحقيقَةُ أنَّ عبارةَ أهلِ الخصوصِ إنَّما هي من تحقيقِ العِلمِ بالتَّوحيدِ وذوقِهم لهُ ومشاهدتِهم إياهُ ؛ فإنَّ قائلَ هـٰذه العبارةِ المُستشنَعةِ الظَّاهرِ . . أرادَ أن يُنبِّهَ العقولَ بأنَّ اللهَ هو الفاعلُ الحقيقيُّ ، فمَن ظنَّ أنَّه وحَّدَ اللهَ بعقلِهِ وبراهينِهِ . . فقدْ جعلَ مع اللهِ شريكاً في مُلكِهِ ، ومَالَ عنِ الصِّراطِ المستقيمِ ، والإلحادُ لغةً : هو الميَلانُ . فإنَّما العقلُ والبراهينُ والمُقدِّماتُ . . خَلقٌ من خَلقِ اللهِ ، إن أذِنَ اللهُ لها بالدَّلالة . . دَلَّتْ بهِ عليهِ ، فلا توحيدَ للهِ إلاَّ باللهِ على الحقيقةِ .

وهـٰذا ـ كما تراه ـ مطابِقٌ ؛ بل مُتَمِّمٌ لعقيدةِ العوامِّ ، فعقيدةُ العوامِّ جَزَمتْ بأنْ : لا فاعلَ إلاَّ اللهُ . وعقيدَةُ الخواصِّ شاهدَتْ فنَطَقتْ بحقيقةِ ما كانت به تجزمُ ، وهـٰذا هو **حقُّ اليقين**[1] .

قال الإمامُ السُّيوطيُّ رضي الله عنه ، في كتابِهِ « تأييدُ الحقيقةِ العليَّة » :

واعلم أَنَّ دقائقَ عِلمِ التَّصوُّفِ لو عُرِضَتْ معانيها على الفقهاءِ بالعبارةِ التي أَلِفُوها في علومِهِم . . لاستحسَنُوهَا كُلَّ الاستحسَانِ ، وكانوا أَوَّلَ قائلٍ بها ، وإنَّما يُنفِّرُهُم منها . . إيرادُها بعبارةٍ مستغرَبةٍ لم يألفوها ؛

---

(١) قال حجة الإسلام : (فأمّا إزالةُ الشُّبهة ، وكشفُ الحقائقِ ، ومعرفةُ الأشياءِ علىٰ ما هيَ عليهِ ، ودرْكُ الأسرارِ التي يترجمُها ظاهرُ ألفاظِ هـٰذه العقيدةِ . . فلا مفتاحَ له إلاَّ المجاهدةُ ، وقمعُ الشَّهواتِ ، والإقبالُ بالكلِّيَّة على الله تعالىٰ ، وملازمةُ الفكْرِ الصَّافي عن شوائبِ المجادلاتِ ، وهي رحمةٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ تَفيضُ علىٰ مَن يتعرَّضُ لنفحاتِها بقدْرِ الرِّزقِ وبحسَبِ التَّعرُّضِ ، وبقدْرِ قَبولِ المحلِّ وطهارةِ القلبِ ، **وذلكَ البحرُ الذي لا يُدركُ غَورُهُ ولا يُبلغُ ساحلُهُ**) . « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٦٢) .

ولهـٰذا قال بعضُهم : « الحقيقةُ أحسَنُ ما تُعلَمُ ، وأقبَحُ ما يُقالُ » .

وأنا أورِدُ لك مثالاً تعرِفُ صحَّةَ ذلك :

قال في « منازل السائرين » : (حقيقةُ التَّوبةِ ثلاثةُ أشياء : تمَيُّزُ الثِّقَةِ منَ الغِرَّةِ[1] ، ونسيانُ الجنايَةِ ، والتَّوبةُ منَ التَّوبةِ أبداً)[2] .

فإذا سَمِعَ الفقيهُ هـٰذا اللفظ ، وهو : « والتَّوبةُ منَ التَّوبةِ » . . استغربَهُ جدًّاً ، وقال : كيف يُتابُ منَ التَّوبةِ وهي عملٌ صالحٌ ، وإنَّما يُتابُ منَ المعاصي ؟!

وتقريرُ معناهُ : أنَّ العبدَ إذا كَمُلَ في رجوعِهِ إلى اللهِ . . لم يلتفِتْ إلىٰ أعمالِهِ ، ولم يَسكُن إليها بقلبِهِ ـ توبَةً كانت أو غيرَها ـ فيتوبُ من سكونِهِ إلىٰ توبتِهِ .

ويُزَادُ إيضاحاً أنَّ التَّوبةَ وإن كانت من كسبِ العبدِ . . فهي من خَلقِ اللهِ وتوفيقِهِ ، فهو التَّائبُ عليه ، ولو لم يَتُبْ عليه . . لَمَا تابَ ، قال

---

(١) في كتاب « تأييد الحقيقة العلية » بتحقيق الشيخ عبد الله الغماري رحمه الله تعالىٰ ، وردت العبارة هـٰكذا : (تمَيُّزُ الثِّقَةِ مِنَ العِزَّة) ، والذي في شرح الإمام المناوي علىٰ « منازل السائرين » : (تمَيُّزُ الثِّقَةِ مِنَ الغِرَّةِ) ، ونبَّه علىٰ أنَّ في نسخة (تمييز التَّقيَّة منَ العِزَّة) ، وكذا قد وردت في شرح العفيف التلمساني (١/ ٦٤) : (تمييز التَّقيَّة من العِزَّة) ، وفي شرح الإمام اللَّخمي (ص ٢٠) ، وشرح الإمام القاشاني (ص ٤٤) ، وشرح الإمام الفركاوي (ص ١٠) ، جاءت كما في شرح الإمام المناوي : (تمَيُّزُ الثِّقَةِ مِنَ الغِرَّةِ) ، وعليه فالنَّص المنقول في كتاب « تأييدُ الحقيقَةِ العَلِيَّة » بتحقيق الشيخ الغماري رحمه الله تعالىٰ ، فيه تصحيف ، إمَّا بالكلمة الأولىٰ فصُحِّفت إلى (الثقة) ، أو في الكلمة الثانية فصُحِّفت إلى (العِزَّة) فليتنبَّه .

(٢) كتاب « منازل السائرين إلى الله تعالىٰ » تأليف شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي (٣٩٦ـ ٤٨١ هـ) رضي الله عنه ، (ص ٧٢) بـ« شرح الإمام المناوي » .

تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ ﴾ [التوبة : ١١٨] ؛ فأيُّ صُنعٍ للعبدِ في التَّوبةِ أو غيرِها ، وهو الَّذي وفَّقهُ اللهُ لفعلِها ؟!

فرؤيَةُ العبدِ التَّوبةَ من نفْسِهِ . . ذنبٌ يَستغفِرُ منه ؛ بل عليه أن يَشهَدَ محضَ مِنَّةِ اللهِ عليه بها ، وتوفيقِهِ لها ، ويُلغي نفْسَهُ أصلاً عن درجةِ الاعتبارِ ، وهـٰذا **مقامُ الفناءِ في التَّوبةِ** ، وهي أوَّلُ منازلِ السَّائرينَ ، **ويُقاسُ به مقامُ الفناءِ في التَّوحيدِ ، فلا يَشهَدُ في توحيدِهِ صُنعاً ؛ بل محضَ مِنَّةِ اللهِ عليه به وتوفيقِهِ** ، وهـٰذا المعنىٰ إذا عُرِضَ على الفقيهِ بهـٰذه العبارةِ المألوفَةِ . . كان أوَّلَ قائلٍ به وناصرٍ لَهُ[1] . انتهىٰ كلام الحافظ السيوطي رضي الله تعالىٰ عنه .

فانظر لقول الإمام السيوطي رضي الله عنه ، السابق : (**ويُقَاسُ به مقامُ الفناءِ في التَّوحيدِ ، فلا يَشهَدُ في توحيدِهِ صُنعاً ؛ بل محضَ مِنَّةِ اللهِ عليه به وتوفيقِهِ**) **فهـٰذا معنىٰ** قول القائل منَ العارفين : **مَن وحَّدَ . . فقدْ ألحَدَ** .

إذ لا فاعل إلا الله ، فالنِّسبةُ لله . . نسبةٌ حقيقيَّةٌ ، والنِّسبةُ للعبيدِ . . نسبةٌ شرعيَّةٌ ، ومن هنا تُدرِكُ قولَ شيخِ الإسلامِ الهروي في « منازل السائرين » : [من الرجز]

ما وحَّدَ الواحِدَ مِن واحِدِ ... إذ كُلُّ مَن وحَّده جَاحِدُ
تَوحِيدُ مَن يَنطِقُ عن نَعتِهِ ... عَاريةٌ أبطَلها الواحِدُ
تَوحيدُهُ إيَّاه توحيدُهُ ... ونَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لاحِدُ[2]

وهو معنىٰ ما قالَهُ الإمامُ الكبيرُ أبو بكر ابن فُورَكَ (ت٤٠٦ هـ) رضي الله عنه في كتابه « الإبانة عن طُرُق القاصدين ، والكشف عن مناهج السَّالكين » :

---

(١) « تأييد الحقيقة العلية » (ص ٢١) .

(٢) انظر شرح الإمام المناوي لهـٰذه الأبيات في كتاب « شرح منازل السائرين » (ص٢٨١) .



ويحكىٰ عن بعضهم ، قال : ما وحَّدَ اللهَ أحَدٌ غيرُ اللهِ .

ومعناه : أَنَّهُ هو الذي عن توحيدِهِ يَصدُرُ توحيدُ الموحِّدينَ ، وكُلُّ توحيدٍ . . منسوبٌ إلىٰ توحيده ؛ لأجلِ أنَّهُ منهُ بدأ ، وإليهِ يعودُ .

وأمَّا ما يذهبُ إليه المحقِّقونَ من أهلِ النَّظرِ في معنىٰ ذلك . . فغيرُ مخالِفٍ في الأصلِ لِما أشاروا إليه[١] ؛ لأنَّهُ لا خلافَ بين أهلِ الحقِّ أنَّ أحداً لا يصلُ إلىٰ حقٍّ ولا إلىٰ باطلٍ . . إلاَّ باللهِ ، وأنَّ مَنِ اهتدىٰ فبهِ اهتدىٰ ، ومَن ضَلَّ فبهِ ضَلَّ ، لا يَقدِرُ أَحَدٌ ابتداءَ خيرٍ ولا شرٍّ ولا نفعٍ ولا ضُرٍّ إلاَّ باللهِ .

ويحكىٰ عنِ الشِّبليِّ ، قال : مَن أشارَ إلى اللهِ . . فقدْ كَفَرَ .

وإنَّما أرادَ بذلك أنْ يكونَ في إشارتِهِ بنفْسِهِ لا بربِّهِ ، أو تكونَ إشارتُهُ علىٰ وجهٍ يقتضي التَّحديدَ لَهُ[٢] .

فانظُر كيف تطابقتِ الشَّريعةُ مع إشاراتِ أهلِ الحقيقةِ ، التي تُنبِّهُ قلوبَ الطَّالبين ، وتَسقي ظمأ الواردينَ ، ويُنكِرُها أهلُ الغفلةِ من أهلِ الرُّسومِ الجامدين[٣] .

---

(١) أي : غير مخالف في الأصل لما أشار إليه الصوفية في العبارة السابقة ، والتي تنافي بظاهرها ما يذهب إليه محقِّقوا أصول الدِّين .

(٢) « الإبانة عن طُرُق القاصدين ، والكشف عن مناهج السَّالكين » (ص٩١، ٩٢) ، والكتاب جامعٌ لكثير من مشكلات كلام القوم وتفسيرها ؛ فانظره .

(٣) ومعنىٰ أهل الرسوم أو علماء الرسوم : هو المُكتفي بظواهر الأشياء دون التَّحقق بحقائقها ، والبعض ينفِرُ من نعت الصوفية لبعض المتكلمينَ والفقهاءِ بـ(علماء الرسوم) ، وننقل لهم كلام الإمام الطوسي في « اللمع » (ص ٥٢) عن الإمام الشبلي : (ما شمَّ روائحَ التوحيدِ مَن تَصوَّرَ عنده التوحيدَ ، وشاهدَ المعاني ، وأثبتَ=

قال الإمامُ أبو القاسم القُشَيريُّ في « لطائف الإشارات » : إنَّ العوامَّ لَفِي شَكٍّ من تجويزِ ما يُكاشَفُ به أهلُ الحضورِ من تعريفاتِ السِّرِّ[١] .

اتَّضحَ إذاً بما سبقَ : بأنَّ عقيدةَ العوامِّ . . عملُ ظاهرِ القلبِ ، وعقيدةَ الخواصِّ . . كشفٌ عن حقائق عقيدة العوامِّ ، وهي ـ أي : عقيدة الخواصِّ ـ صفةُ سِرِّ باطنِ القلب .

قال حُجَّةُ الإسلام الغزالي في « الإحياء » ، بعد ذكرِهِ لعقائدِ العوامِّ :

= الأسامي ، وأضافَ الصِّفات ، وألزمَ النُّعوت ، ومَن أثبت هـٰذا كلَّه ونفىٰ هـٰذا كلَّه . . فهو موحِّدٌ حُكماً ورَسماً ، لا حقيقةً ووجداً) اهـ

كذلك يبدو للبعض تنافي هـٰذا الكلام ـ أي : كلامَ الإمام الشبلي ـ مع ظاهر الشريعة ؛ إذ يَتصوَّرُ حصولَ التوحيد عنده ، ويُثبتُ الأسماءَ والصفاتِ والنعوتَ لله ، ويَعتبرُ كلَّ هـٰذا قُربةً إلى الله ، وفي هـٰذه المعاني ومنها . . نشأ علم الكلام ، وهو علم شريف في مرتبته ، لـٰكنَّ الإمام الشبلي رضي الله عنه وصف مَن هـٰذا حالُه بأنَّه من علماء الرُّسوم فقط ، لا من علماء الحقيقة !

وللإمام محمد بن موسى الواسطي قُدِّس سرُّه كلام شبيه به حيث يقول : (جملة التوحيد أنَّ كلَّ ما يتسع به اللسان ، أو يشير إليه البيان من تعظيم أو تجريد أو تفريد . . فهو معلول ، والحقيقة وراءَ ذلك) اهـ

قال الإمام الكلاباذي في « التعرف » (ص ٩٩) شارحاً قول الإمام الواسطي : (معناه أنَّ كلَّ ذلك مِن أوصافك ، وصفاتُك محدَثةٌ معلولةٌ مثلُك ، وحقيقة الحقِّ . . هو وصفه له) اهـ

فتبيَّن أنَّ كلَّ مَن يخوض في التوحيد دون كشفٍ وذوقٍ . . فهو من أهل الرُّسوم عندهم ؛ وذلك لعزيز مراتبهم ، نفعنا الله تعالىٰ بهم .

قال الإمام الهجويري في « كشف المحجوب » (ص٢٤٦) : (ينبغي أنْ تطلب لباطنك التَّحقيق ، وأنْ تُعرِض عن الرُّسوم ؛ لأنَّ مَن يكتفي بظواهر الأشياء . . لا يصل إلى التَّحقيق أبداً) اهـ

(١) « لطائف الإشارات » (٣/ ٣٤٠) .

إنَّ العقائدَ التي ذكرناها من أعمال القلوبِ ، وقد تُعبِّدنا بتلقِّيها بالقَبولِ ، والتَّصديقِ بعَقدِ القلبِ عليها ، لا بأن يُتوصَّلَ إلىٰ أن ينكشِفَ لنا حقائقُها ؛ فإنَّ ذلك لم يُكلَّف به كافَّةُ الخَلقِ ، ولولا أنَّهُ منَ الأعمالِ . . لَمَا أوردناهُ في هـٰذا الكتابِ ، ولولا أنَّهُ عملُ ظاهرِ القلبِ لا عملُ باطنِهِ . . لَمَا أوردناهُ في الشَّطرِ الأوَّلِ منَ الكتاب ، وإنَّما الكشفُ الحقيقيُّ هو صفةُ سِرِّ القلبِ وباطِنِهِ)[1] .

وقال أيضاً رضي الله عنه :

الصَبيُّ إذا وقعَ نُشُوؤُهُ علىٰ هـٰذه العقيدةِ[2] إنِ اشتَغَلَ بكسْبِ الدُّنيا . . لم ينفتِحْ له غيرُها ، ولـٰكنَّهُ يَسلَمُ في الآخرةِ باعتقادِ أهلِ الحقِّ ؛ إذْ لم يُكلِّفِ الشَّرعُ أجلافَ العربِ أكثرَ منَ التَّصديقِ الجازمِ **بظاهرِ هـٰذه العقائدِ** ، فأمَّا البَحثُ والتَّفتيشُ وتكلُّفُ نَظمِ الأدلَّةِ . . فلم يُكلَّفُوهُ أصلاً .

وإن أرادَ أن يكونَ من سالكي طريقِ الآخرةِ ، وساعدَهُ التَّوفيقُ حتى اشتغَلَ بالعملِ ، ولازمَ التَّقوىٰ ، ونهى النَّفسَ عنِ الهوىٰ ، واشتغَلَ بالرِّياضةِ والمجاهدَةِ . . انفَتَحَتْ له أبوابٌ منَ الهدايةِ **تكشِفُ عن حقائقِ هـٰذه العقيدةِ[3] بنورٍ إلـٰهيٍّ يُقذَفُ في قلبِهِ بسببِ المجاهدةِ ؛ تحقيقاً لوعدِهِ عزَّ وجلَّ إذ قال :** ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٦٧) .

(٢) أي : عقيدةُ العوامِّ .

(٣) إذاً ؛ فعقيدةُ الخواصِّ هي : انكشاف حقائق عقيدة العوامِّ انكشافاً حقيقيّاً ذوقيّاً . . يكون من عملِ باطنِ القلبِ التي يُمنع كشفُها لغير أهلها ؛ لأسبابٍ سنذكرها عن حُجَّة الإسلام وعن غيره منَ العلماء .

وهو الجوهرُ النَّفيسُ الذي هو غايةُ إيمانِ الصِّدِّيقينَ والمقرَّبينَ ، وإليه الإشارةُ بالسِّرِّ الذي وقرَ في صدرِ أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه ، حيث فَضُلَ بهِ الخَلقَ .

وانكشافُ ذلك السِّرِّ ، بل تلك الأسرارِ . . لهُ درجاتٌ بحسَب درجات المجاهدةِ ودرجات الباطنِ ؛ في النَّظافةِ والطَّهارةِ عمَّا سوى اللهِ تعالىٰ ، وفي الاستضاءةِ بنورِ اليقِينِ[1] .

وقال الإمامُ أبو طالب المكي في « قوت القلوب » :

المقامُ الثَّالث منَ اليقينِ : وهو يقينُ ظنٍّ يقوىٰ بدلائلِ العلم والخبرِ وأقوالِ العلماءِ ، ويجدُ هـٰؤلاء المزيدَ منَ اللهِ تعالىٰ والنَّصيبَ منهُ لهم ، ويضعُفُ بفقدِ الأدلَّةِ وصَمتِ القائلينَ ، وهـٰذا يقينُ الاستدلالِ ، وعلومُ هـٰذا في المعقولِ ، وهو يقينُ المتكلِّمينَ من عُمومِ المسلمينَ من أهلِ الرَّأي وعلومِ العقلِ والقياسِ والنَّظرِ ، وكلُّ موقنٍ باللهِ تعالىٰ فهو علىٰ علمٍ منَ التَّوحيدِ والمعرفةِ ، ولـٰكنَّ علمَهُ ومعرفتَهُ علىٰ قَدْرِ يقينهِ ، ويقينَهُ من نحو صَفاءِ إيمانِهِ وقوَّتِهِ ، وإيمانَهُ علىٰ مُقتضىٰ مُعاملتِهِ ورعايتِهِ ، فأعلى العلومِ . . علمُ المشاهدةِ عن عينِ اليقينِ ، وهـٰذا مخصوصٌ للمُقرَّبينَ[2] .

وقال الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكيَّة » :

فصاحبُ النَّظرِ وإن آمَنَ أوَّلاً تقليداً . . فإنَّهُ يُريدُ البحثَ عنِ الأدلَّةِ والنَّظرِ فيما آمَنَ بهِ ، لا على الشَّكِّ ؛ ليَحصُلَ لهُ العلمُ بالدَّليلِ الذي نَظرَ

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٤٤) .

(٢) « قوت القلوب في معاملة المحبوب ، ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التَّوحيد » (١/ ٣٨٢) .

فيهِ ، فيخرُجَ منَ التَّقليدِ إلى العلمِ ، أو يعملَ علىٰ ما قَلَّدَ فيهِ ، فيُنتِجَ لهُ ذلك العملُ . . العلمَ باللهِ ؛ فيُفَرِّق بهِ بين الحقِّ والباطلِ عن بصيرَةٍ صحيحةٍ ، لا تقليدَ فيها ، وهو علمُ الكشفِ . قال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال : ٢٩] ، وهو عين ما قُلناهُ ، وقال : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ، وقال : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن : ١-٤] ، وقال : ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾ [الكهف : ٦٥] .

وقد ورد أنَّ : « **العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ** » ، فسمَّاهُم عُلَماء ، وأنَّ : « **الأنبياءُ ما وَرَّثُوا ديناراً ولا درهَماً وإنَّما وَرَّثُوا العلمَ** » ، والأخذُ للعلمِ بالمجاهدةِ والأعمالِ أيضاً . . سَفَرٌ ؛ فكما سافرَ العقلُ بنظرِهِ الفكريِّ في العالَمِ . . سافرَ العامِلُ بعملِهِ ، واجتمعا في النَّتيجَةِ ، وزادَ صاحبُ العملِ أنَّهُ علىٰ بصيرةٍ فيما علمَ ، لا تدخلهُ شُبهَةٌ ، وصاحبُ النَّظَرِ ما يخلو عن شُبهةٍ تدخلُ عليه في دليلِهِ ، فصاحبُ العملِ أولىٰ باسمِ العالِمِ من صاحبِ النَّظَرِ[1] .

ونضرب مثالاً ثانياً عن التَّنافي الظَّاهرِ بين عقائدِ الخواصِّ وعقائدِ العوامِّ ، وكيف أنَّهما تتوافقان في الحقيقة ونفس الأمر :

قال الشيخُ الأكبر محيي الدِّين ابنُ العربي رضي الله عنه في كتابه الذي ألَّفه بلسان أهل الحقيقة « فصوص الحكم » : (فما عُبد غير الله في كل معبود !)[2] .

---

(١) « الفتوحات المكية » (١/ ٣٧٢) .
(٢) « فصوص الحكم » ، (فصُّ حِكْمة سُبوحيَّة في كلمةٍ نُوحيَّة) (ص ٧٢) .

ظاهر الكلامُ يتنافىٰ مع ظاهرِ الشَّريعةِ ، فيقالُ : كيف يقولُ الشيخُ هـٰذا الكلامَ المُخرِجَ منَ الملَّةِ ؟! فهل مَن يعبدُ الحجرَ والبشرَ ، والنُّجومَ والشجرَ ، وغيرَ ذلك دون الله . . لم يَعبُد غيرَ الله ؟! وهل جاءتِ الشَّرائعُ إلاَّ للتَّوحيدِ الذي يُبطِلُ عبادةَ غيرِ الله ؟!

والجواب : كما ذكرنا قبلُ ؛ فإنَّ هـٰذا الكلامَ وأمثالَهُ إنَّما يتكلَّمُ به العارفونَ بلسانِ الحقيقةِ والكشفِ عنها **لا لتقريرِ أحكامٍ شرعيةٍ** ، فهم **يُقرِّرونَ حقائقَ ذوقيَّةً** ، **ومكاشفاتٍ قلبيَّةً** ، من طريق عمَلِهم بالشريعة كما تقدَّم ذكرُهُ .

قال الحافظُ السُّيوطيُّ رحمه الله تعالىٰ ، في شرحِ قولِ سيدي ابنِ الفارض رضي الله عنه من تائيَّته الكبرى المسمَّاة بـ (نظم السلوك) ، الذي هو عينُ عبارة الشَّيخ الأكبر المنثورة : [من الطويل]

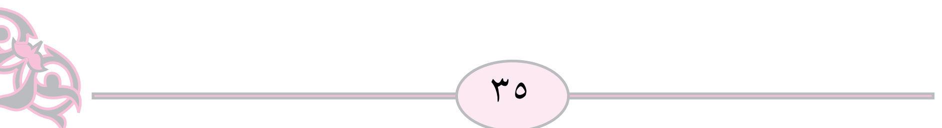
وإنْ عَبَدَ النَّارَ المجُوسُ وما انطَفَتْ ... كَمَا جَاءَ في الأخبارِ في ألْفِ حِجَّةِ

فَمَا عَبَدوا غَيْري، وما كان قَصْدُهم[1] ... سِـواي وإنْ لـمْ يُضْمِـروا عَقْـدَ نيَّـةِ

قالَهُ علىٰ لِسانِ الحقيقةِ ، مُشيراً بهِ إلىٰ أنَّ عبادَةَ الكُفَّارِ وسجودَهُم للنَّارِ والصَّنمِ والوثنِ . . واقعٌ في الحقيقةِ للهِ تعالىٰ ؛ لأنَّ المذكوراتِ أقلُّ من أن تُعبَدَ ويُسجَدَ لها ، فتقعُ السَّجدةُ لله علىٰ رَغمِ أنفِ السَّاجدِ ، وهو كافرٌ بنيَّةِ السُّجودِ لغيرِ اللهِ ، وهـٰذا معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي

---

(١) في بعض نسخ ديوان سيدي ابن الفارض وشروحه :



فما قصدوا غيري، وإن كان قصدهم ... سِـواي وإنْ لـمْ يُظهـروا عَقْـدَ نيَّـةِ



ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الرعد : ١٥] .

أخرج ابنُ أبي حاتمٍ في تفسيره ، عن قتادةَ ، في الآية قال : المؤمنُ يسجدُ للهِ طائعاً ، والكافرُ يسجدُ للهِ كارهاً .

وأخرجَ ابنُ جريرٍ ، وابنُ المنذرِ ، وابنُ أبي حاتمٍ ، بسندٍ صحيحٍ ، عن ابن عبَّاسٍ في قوله : ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [آل عمران : ٨٣] الآية ، قال : عبادتُهُم لي أجمعينَ ، طوعاً وكرهاً .

وأمَّا حُسْنُ الظَّنِّ وعدمُ الوقيعةِ . . فذاك هو الذي دلَّت عليه الآياتُ[١] . انتهىٰ كلامُ الحافظ السُّيوطي رحمه الله تعالىٰ .

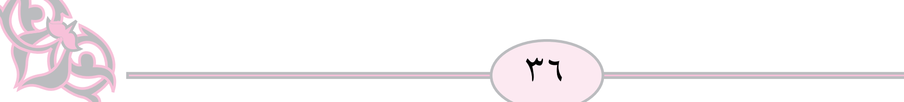
مثالٌ ثالثٌ : قال الإمام أبو العباس ابن عطاء الله البغدادي قَدَّس الله سِرَّه ، وهو من سادات أهل الطريق :

(**علامةُ حقيقةِ التَّوحيدِ . . نسيانُ التَّوحيد**)[٢] .

---

(١) « تأييد الحقيقة العلية » (ص ٧٤) ، وشرحُ الإمام السيوطي لهـٰذه العبارة . . **يدلُّ علىٰ أنَّ الأئمة العلماء قرأوا مشكل كلام العارفين** ، وطالعوا مؤلَّفاتهم ، **ولم يدافعوا عن حُسنِ ظنٍ بهم فقط** ـ كما يزعم البعض ـ **بل قرأوا وفهموا ودافعوا** ، وكيف يُظَنُّ بحَمَلَةِ هـٰذا الدِّين وحُماتِهِ . . أن يُدافعوا بموجِب حُسْنِ الظنِّ فقط دون درايةٍ بكلام مَن يُدافعون عنه ؟! والسيوطي رحمه الله تعالىٰ كتب رسالةً يردُّ بها طعن البرهان البقاعي على الشيخ الأكبر سمَّاها « تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي » ، ورسالةً أخرىٰ ردَّ بها طعن ابن أبي حجلة الحنفي علىٰ سيدي ابن الفارض سمَّاها « قمع المعارض في نصرة ابن الفارض » ، فمنَ البَداهة ـ علىٰ أقلِّ تقدير ـ أنَّ الحافظ السيوطي قد قرأ الكلماتِ المشكلةَ التي أوردها الطاعنون ، فكيف يقال : إنَّهم دافعوا دون دراية !! هـٰذا بهتان وتعالي .

(٢) نقله الإمام الطوسي في « اللمع » (ص ٥٥) ثمَّ شرحه ؛ فراجعه .






وهـٰذا قريب من معنى المثال الأوَّل .

مثالٌ رابعٌ : قولُ حُجَّةِ الإسلام الغزالي رضي الله تعالىٰ عنه **في رسالته الَّتي هي من أواخر مؤلَّفاته** « **مشكاة الأنوار** » :

(**لا إلـٰـه إلاَّ اللهُ** : **تـوحيـدُ العـوامِّ** ، **ولا إلـٰـه إلاَّ هـوَ** : **تـوحيـدُ الخواصِّ**) .

قال رضي الله عنه : **لأنَّ هـٰذا أتمُّ وأخصُّ وأشمَلُ وأحَقُّ وأدَقُّ وأدخَلُ بصاحِبِهِ في الفَرَدَانِيَّةِ المحضةِ والوحدانيَّةِ الصِّرفَةِ**[1] .

ويلزمُ من ظاهر كلام الإمام الغزالي بحسَب فهم الطاعنين الحطُّ منَ الشَّرع ، وأنَّ سيدنا رسول الله صلىٰ عليه وسلم لم يُعلِّم أصحابه الوحدانيةَ الصِّرفة ؛ لأنَّه جاء بـ لا إلـٰه إلا الله ! !

وهنا لابدَّ من تنبيهٍ مهمٍّ جدَّاً ، وهو :

لا يجوزُ العملُ بأحكامِ الحقيقةِ ، وإنَّما العملُ بأحكامِ الشريعةِ ؛ لأنَّ الحقيقةَ . . شهودُ باطنِ القلبِ ؛ إذ هي من أعمالِ باطنِ القلبِ .

وهـٰذا **التَّنبيه المهمُّ العظيمُ من أجلِّ قواعد العارفين ، فعضَّ عليه بالنواجذ** ؛ إذ قد غَفُلَ عنه كثيرٌ منَ المحبِّين والمنكرين ، وهو ما نبَّه عليه الإمامُ سراج الدِّين البُلْقيني رضي الله عنه بعد ذكره لقصة سيِّدنا موسى عليه الصَّلاة والسَّلام مع العبد الصَّالح خَضِر عليه السَّلام ، فبعد أن قال :

(إنَّ علمَ الحقائقِ والكُشُوفِ يُنافي علمَ الظَّاهِرِ) . . قال رضي الله عنه : (**لا يجوز للوليِّ التَّابعِ للنَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إذا اطَّلعَ علىٰ**

(١) « مشكاة الأنوار » (ص ٦٠) .



حقيقةٍ . . أن يُنفِذَ ذلك بمقتضى الحقيقةِ ، وإِنَّما عليه أن يُنفِذَ الحكمَ الظَّاهرَ)[١] .

قال الإمام ابنُ عطاء الله السَّكندري رضي الله عنه ، في « التنوير في إسقاط التدبير » :

مَنِ استَرسَلَ مع إطلاقِ التَّوحيدِ ورأىٰ أنَّ المُلكَ للهِ تعالىٰ ، وأَنْ لا مُلكَ لغيرهِ معهُ ، ولم يتقيَّد بظواهرِ الشَّريعةِ . . فقد قُذِفَ به في بحرِ الزَّندقةِ ، وعادَ حالُهُ بالوبالِ عليه ، ولـٰكنَّ الشَّأنَ أن يكونَ بالحقيقةِ مؤيَّداً ، وبالشَّريعةِ مُقيَّداً ، وكذلك المُحقِّقُ ، فلا مُنطَلِقاً مع الحقيقةِ ولا واقفاً مع ظاهرِ إسنادِ الشَّريعةِ ، ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، فالوقوفُ مع ظواهرِ الإسنادِ . . شركٌ ، والانطلاقُ مع الحقيقةِ من غيرِ تقييدٍ بالشَّريعةِ . . تعطِيلٌ »[٢] .

وقال حُجَّةُ الإسلام الغزالي رضي الله عنه :

وقولُنا إنَّ الكُفرَ والزِّنا والمعاصي والشُّرورَ كُلَّهُ بقضاءِ اللهِ تعالىٰ وإرادَتِهِ ومشيئَتِهِ . . حقٌّ في نفسِهِ ، وقد **أَضَرَّ سماعُهُ بقومٍ** ؛ إذ أوهمَ ذلك عندهُم دلالةً على السَّفَهِ ، ونقيضِ الحكمَةِ ، والرِّضا بالقبيحِ والظُّلْمِ !
وقد ألحدَ ابنُ الرَّاونْديِّ وطائفةٌ منَ المخذُولينَ بمثلِ ذلك .

فكذلك سرُّ القدَرِ لو أُفشيَ . . لأوهَمَ عند أكثرِ الخلقِ عجزاً ؛ **إذ تَقصُرُ أفهامُهُم** عن إدراكِ ما يُزيلُ ذلك الوهمَ عنهم[٣] .

---

(١) نقله الحافظ السيوطي في « تأييد الحقيقة العلية » (ص ٥) .
(٢) « التنوير في إسقاط التدبير » (ص ١٧٠) .
(٣) « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٧٠ ، كتاب قواعد العقائد) .




ومن هنا قال الشيخُ الأكبر في « فتوحاته » :

(**الأدَبُ مع الحقيقةِ . . تَركُ الأدَبِ**)[١] .

لأنَّ أدبَ العلمِ ـ عموماً ـ هو الحُكمُ والعملُ بهِ ، وعِلمُ الحقيقةِ كما ذكرنا لا للعملِ به ، وإنَّما هو مُشَاهدةُ سرِّ القلبِ لأسرارِ القُدرةِ من عالَم الغيب ، فتركُ العملِ بعلمِ الحقيقةِ في الظَّاهرِ . . هو معنىٰ تركُ الأدبِ .

وضَرَبَ الشيخُ لذلك أمثلةً : كنسبة سيِّدنا إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم المرضَ لنفسه ، مع أنَّ الحقيقةَ هي أنَّ المرضَ منَ البَاري جلَّ وعزَّ ، فتَرَكَ سيدُنا إبراهيمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم نسبَةَ الإمراضِ للحقِّ ، ونسبَها لنفسِهِ ، رغمَ أنَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم مُشاهِدٌ ـ بلا ريب ـ بأنَّ الحقَّ هو مَن أمرضَهُ .

فهـٰذا مثالٌ علىٰ معنىٰ : **أدبُ الحقيقة . . هو تركُ الأدب** ؛ أي : تَركُ إطلاق الحُكمِ بها ظاهراً[٢] .

فاعرف قدْرَ هـٰذا الكلامِ ، فإنْ فَهِمتَهُ حَقَّ الفَهمِ . . فقد ظَفِرتَ بكنزٍ لا ينفَدُ ، وفُتحَ لك بابٌ عظيمٌ في الفَهمِ عنِ اللهِ ، وربَّما يُشيرُ لك ذلك لفهمِ مُرادِ الصَّحابةِ رضي الله عنهم في قولهم لرسول الله صلى الله عليه وسلَّم : إِنَّا نَجِدُ فِي أنفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أن يَتَكَلَّمَ بِهِ ، قال : « **وَقَد وَجَدْتُمُوهُ ؟** » ، قالُوا : نعم ، قال : « **ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ** »[٣] .

---

(١) « الفتوحات المكية » (٢/ ٢٨٥) .

(٢) انظر « الفتوحات المكية » (٣/ ٣٣٢) ، وقد عقَدَ الشيخ للكلام علىٰ هـٰذه المسألة باباً مستقلّاً ، وهو الباب التاسع والستون ومئة ، فانظره .

(٣) رواه مسلم (١٣٢) .



وقِسْ علىٰ هـٰذا الذي ذكرناهُ . . ما تكَلَّمَ به الشيخُ الأكبر في « فتوحاته المكيَّة » و« فصوص الحكم » وأمثالهما من كتبِ الحقائق الذَّوقيَّة ، حيث إنَّ الشيخَ لا يقرِّرُ فيما يتلوهُ من الأذواقِ . . أحكاماً شرعيَّةً ، وإنَّما مشاهداتٌ لأسرارٍ غيبيَّةٍ ، محاطةٍ بإدراكٍ مخصوصٍ وإشاراتٍ وهبيَّةٍ ، يَفهَمُهَا أهلُها لا غير .

ويَظنُّ الجاهلُ أنَّ الشيخَ يُقرِّرُ أحكاماً شرعيَّةً للعمل بها ، وقد أفدناك بما تقدَّمَ من كلامٍ . . عن مَلْحظِ القومِ في هـٰذه الأذواق ، فليُعلم ذلك .

قال الإمامُ العارفُ الشيخُ عبدُ الوهاب الشَّعرانيُّ رضي الله عنه :

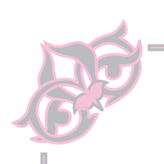
فما دوَّنَ أهلُ اللهِ تعالىٰ كلامَهُم لعامَّةِ النَّاسِ ، وإنَّما هوَ لقومٍ مخصوصينَ ، فَمَنِ انقادَ لهم بِحُكمِ الصِّدقِ . . رَقَّوهُ إلىٰ فهمِ كلامِهِم ؛ حتَّىٰ وجدَهُ مُطابِقاً للكتاب والسُّنَّةِ ، ومَن لا . . فلا ، ولا طريقَ إلىٰ فهمِهِ إلاَّ ذلك[1] .

وسيرةُ الشَّيخ وأمثاله منَ العارفين تَرُدُّ فهم المنكرين ، حيث أجمعَ معاصروه علىٰ أنَّه كان علىٰ قَدَمِ الشريعةِ لا يُقدِّم شيئاً بين يَدَيها ، ولا يَقْدُمُ في سبيله . . إلاَّ عليها ، وكان على المجاهدات العظيمة ، والسَّخاءِ والوفاءِ والصَّفاءِ[2] .

---

(١) « الميزان الذَّرية المُبيِّنة لعقائدِ الفرقة العليَّة » (ص ١٩) .

(٢) لا يُنقض الإجماع علىٰ تزكية الشيخ الأكبر مِن أهل عصره . . بما نُقل من طعن بعض العلماء من معاصري الشيخ ؛ وإنَّما أوردنا هـٰذا التَّعليق ؛ حتَّىٰ لا يحتجَّ البعض علينا بنقض حكايتنا الإجماع . . بذكر طعن هـٰؤلاء الأعلام ، فلسنا بغفلة عن هـٰذا الأمر ، ولـٰكن المقام هنا لا يحتمل التفصيل .




مطلب في شأن اصطلاحات القوم رضي الله عنهم

قال الإمام محمد بن جمعة الحصْكَفِيُّ في « ترياق الأفاعي في الرَّدِ على الخارج البقاعي » في مَعرِضِ جوابهِ عن سيدي ابن الفارضِ قُدِّسَ سِرُّهُ :

والإنسانُ إذا تكلَّمَ بكلامٍ . . فقدْ يتكلَّمُ فيه باصطلاحِ الشَّرعِ ، وقد يتكلَّمُ باصطلاحِ العقلاءِ ، أو باصطلاحِ أهلِ اللغةِ ، أو بلا اصطلاحٍ ؛ بل بما تقتضيهِ حقيقَتُهُ المشهودَةُ له مثلاً ، وهو قد يوافِقُ فيه اصطلاحاً ، وقد لا يوافِقُ في اللفظِ[1] ، ولـٰكنَّهُ يوافِقُ **في المعنىٰ** أصولاً واصطلاحاتٍ عقليَّةٍ وشرعيَّةٍ إذا عُلِمَتِ المقاصِدُ فيه .

وهـٰذا شأنُ المكاشَفينَ بالحقائقِ ، والشيخُ **ليس هو بصددِ تقريرِ أحكامٍ شرعيَّةٍ ولا عقليَّةٍ** . . حتىٰ تُلزِمَهُ المشيَ علىٰ قانونِ اصطلاحٍ ؛ بل إنَّما هو مخبرٌ عن حالهِ وما كُوشِفَ به[2] .

وقال صاحبُ « الحُلَل الزَّنجفُوريَّة » سيدي أحمدُ بنُ محمدٍ أكنسوس :

---

(١) في النسخة المطبوعة بتحقيق المزيدي المصري ، جاءت العبارة : (وقد لا يوفَّق في اللفظِ) !

(٢) « ترياق الأفاعي في الرَّدِّ على الخارج البقاعي » (ص ٧٠) .



كُلُّ كلامٍ لابُدَّ فيه من أمورٍ مَعروضَةٍ بجميعِ الأفهامِ ، وأمورٍ لا يَفهمُها إلاَّ خاصَّةُ الأذكياءِ الذين لهم الاستعدادُ والاقتدارُ علىٰ فهمِ نوعِ ذلك الكلامِ ، وأمورٍ لا تُفهمُ إلاَّ بتفهيمِ المتكلِّمِ بذلك الكلامِ ، سواءٌ كان الكلامُ قديماً كالقرآن العظيم ، أو كان حادثاً ، وسواءٌ كان كلامَ النُّبوَّةِ كالحديث الكريم ، أو غير ذلك ككلامِ الأولياءِ .

وذلك أنَّ الكلامَ إذا كان مُباحاً فَهمُهُ لكُلِّ سامعٍ . . لم تكن فيه مَزِيَّةٌ ، لا للمتكلِّمِ ولا للمخاطَبِ ، ولذلك أسرارٌ أُخَر ، والله أعلم .

وقال أيضاً :

اعلم أنَّ علومَ الحقائقِ . . أمورٌ خفيَّةُ المدارِكِ ، بعيدةُ الغَورِ ؛ كأنَّها ليست من هـٰذا العالَمِ الظَّاهرِ الذي هو عالَمُ الدُّنيا ، وهي أقربُ إلىٰ عالَمِ البرزخِ ، فمَنْ أرادَ فَهمَهَا بالعقلِ كما يَفهَمُ أمورَ الدُّنيا التي هي معقولَةٌ . . فقد أرادَ منها ما ليس في قوَّتِها ؛ كما أنَّهُ لا يَقدِرُ أن يفهَمَ أمورَ النَّومِ مثلاً ، وأمورَ الآخرةِ منَ الجنَّةِ والنَّارِ وغيرِ ذلك . . بعقلِهِ ؛ كذلك الحقائق ، فافهم[١] .

وقال شيخُ الإسلام ، وبرَكةُ الليالي والأيَّام ، مولانا زكريَّا الأنصاريُّ رضي الله عنه ، عنِ الشيخِ الأكبر وطائفتِهِ وما يقولونَهُ من علومٍ يَفهَمُ منها غيرُهُم غيرَ مقصودِهِم :

والحقُّ أنَّهم مُسلِمونَ أخيَارٌ ، وكلامُهُم جارٍ على اصطلاحِهم ؛ كسائرِ الصُّوفيَّةِ ، وهو حقيقَةٌ عندَهم في مُرادِهم ، وإنِ افتَقَرَ عند غيرِهم ـ مِمَّن

---

(١) « الحلل الزنجفورية » (ص ١٢) ، وهي رسالة مهمة .

لو اعتَقَدَ ظاهِرَهُ عنده كَفَرَ ـ إلىٰ تأويلٍ ؛ إذ اللفظُ المصطلحُ عليه . . حقيقةٌ في معناهُ الاصطلاحي ، مَجَازٌ في غيره ، فالمُعتَقِدُ منهم لمعناهُ . . مُعتَقِدٌ لمعنىً صحيحٍ .

وقد نصَّ علىٰ ولايةِ ابن عربي جماعةٌ علماءُ عارفونَ بالله تعالىٰ ، منهمُ الشيخ تاج الدِّين بن عطاء الله ، والشيخ عبد الله اليافعي ، ولا يقدَحُ فيه وفي طائفتِهِ . . ظاهِرُ كلامِهِم المذكور عند غير الصُّوفيَّةِ ؛ لِمَا قلناهُ[1] .

وقال حُجَّةُ الإسلام الغزالي رضي الله عنه :

ومَن نَظَرَ إلى الحقائقِ منَ الألفاظِ . . رُبَّما تحيَّرَ عند كثرةِ الألفاظِ ، وتخيَّلَ كثرةَ المعاني ، والذي تنكشِفُ له الحقائقُ . . يَجعلُ المعاني أصلاً والألفاظَ تابعاً ، وأمرُ الضَّعيفِ بالعكسِ ؛ إذ يَطلُبُ الحقائقَ منَ الألفاظِ[2] .

إذاً : فأهلُ الحقائقِ . . ليس لهم اعتناءٌ بألفاظِهِم ، فهم يُعبِّرونَ عن أذواقِهِم بما يجدُونَ من ألفاظٍ ، فيَفهَمُ بها عنهم أهلُ الذَّوقِ . . المعنى المرادَ ، فمَن طلبَ المعاني التي يَقصدُها أهلُ المعرفةِ من ظاهرِ ألفاظِهِم

---

(١) « أسنى المطالب في شرح روض الطالب » (٨/ ٢٩٥) ، قاله شيخ الإسلام زكريا رضي الله عنه بمعرض ردّه علىٰ صاحب المتن المشروح « روض الطالب » العلامة شرف الدِّين بن المقرئ اليمني ؛ إذ نصَّ في كتاب الرِّدة : علىٰ كُفر مَن شكَّ بكفرِ طائفة ابن عربي !!

هـٰذا وقد نقل كلامَ شيخِ الإسلام زكريا الأنصاري أيضاً تلميذُه الشمس محمد الشربيني رضي الله تعالىٰ عنه في شرحه علىٰ « منهاج » الإمام النووي ؛ مقرّاً ومقرِّراً له ، انظر « مغني المحتاج إلىٰ معرفة معاني ألفاظ المنهاج » (٤/ ١٦٦) .

(٢) « مشكاة الأنوار » (ص ٦٦) .



وتراكيبِ كلماتِهِم . . ضَلَّ وزَلَّ ، فليتنبه .

وقال السيِّدُ أحمدُ الرِّفاعيُّ رضي الله عنه :

أي ولدِي : إذا سمعتَ كلامَ أهلِ الحضرةِ . . فإنَّهُ ظاهرٌ غامضٌ ، تكلَّمَ سيِّدُ أهلِ الحكمةِ والبيانِ ، وأفصحُ نوعِ الإنسانِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بجوامعِ الكلِمِ ، فأوجزَ وأفصحَ ، وأوضحَ وأغمضَ ، وهكذا وُرَّاثُه وأتباعُهُ[1] .

وما أحسن ما قال الإمامُ عبد الهادي السُّودي رضي الله عنه : [من الطويل]

يَقُولُونَ إنَّ الخَمرَ مُرٌّ وما دَرَوا ... بأنَّ لنا خَمراً مَرَارَاتُه شَهْدُ

وما عَلِموا الخمرَ الَّذي أنا واصِفٌ ... ولا مَنْ هو السَّاقِي ولا مَنْ هو القَصدُ

فقَالوا حرامٌ عندنا فأجَبتُهم ... ومَنْ أنتُمُ حتَّىٰ يكونَ لكُمْ عِندُ ؟!

والكلام عن مصطلحات القوم رضي الله عنهم . . كثيرٌ ؛ فراجعهُ من مظانِّه .

* * *

(١) « البرهان المؤيد » (ص ٩٩) .






مطلب في الكلام عن الظّاهر والبَاطن

إنَّ عقيـدةَ الخـواصِّ . . يعسُـرُ إدراكهـا علـىٰ فهـمِ غيـرِ العـارفيـنَ والمستَشرفِ علىٰ مقاماتهم ، المُصاحِبِ لهم ، ومن هنا كان الانتقادُ مُنصَبّاً عليهم في ذكر هـٰذه العقائد الخاصَّة ؛ لكون المنكِر والطَّاعِن يفهم منها خلاف ما هو المعتمَدُ في عقيدة العامَّة .

قال حُجَّةُ الإسلام الغزالي رضي الله عنه :

فإن قلتَ : هـٰذا الكلامُ يُشيرُ إلىٰ أنَّ هـٰذه العلوم لها ظواهرُ وأسرارٌ ، وبعضُها جَليٌّ يَبدو أوَّلاً ، وبعضُها خَفِيٌّ يتَّضِحُ بالمجاهدةِ والرِّياضةِ والطَّلبِ الحثيثِ والفِكْرِ الصَّافي والسِّرِّ الخالي عن كلِّ شيءٍ من أشغالِ الدُّنيا سوى المطلوب ، وهـٰذا يكادُ يكونُ مخالفاً للشَّرعِ ؛ إذ ليس للشَّرع ظاهرٌ وباطنٌ ، وسِرٌ وعَلَنٌ ؛ بل الظَّاهرُ والباطنُ والسِّرُّ والعَلَنُ . . واحدٌ ؟

فاعلم : أنَّ انقسامَ هـٰذه العلومِ إلىٰ خَفِيَّةٍ وجَلِيَّةٍ . . **لا يُنكِرُها ذو بصيرةٍ** ؛ **وإنَّما يُنكرها القاصرونَ** الذينَ تلقَّنُوا في أوَّلِ الصِّبا شيئاً وجمدوا عليه ، فلم يَكُن لهمْ ترَقٍّ إلىٰ شأوِ العُلا ، ومقاماتِ العلماءِ والأولياءِ ، وذلك ظاهرٌ من أدلَّة الشَّرعِ[1] .

(١) « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٦٢ ، كتاب قواعد العقائد) .



وقال رضي الله عنه : وقال صلى الله عليه وسلم : « **لو تعلمونَ ما أعلم . . لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ولَبَكَيْتُمْ كَثيراً** » . فلَيتَ شِعري ؛ إنْ لم يكُن ذلك سِرَّاً مُنِعَ من إفشائِهِ لقصورِ الأفهامِ عن إدراكِهِ ، أو لمعنىً آخر . . فَلِمَ لَمْ يذكره لهم ، ولاشكَّ أنَّهم كانوا يُصَدِّقونَهُ لو ذكرَهُ لهم ؟!

ثم زادَ إيضاحاً فقال رضي الله عنه في حديث : « **ما فَضَلَكُم أبو بكرٍ بكثرةِ صِيامٍ ولا صَلاةٍ ولٰكنْ بِسِرٍّ وَقَرَ في صَدرهِ** » :

ولا شكَّ في أنَّ ذلك السِّرَّ **كان مُتَعَلِّقاً بقواعِد الدِّين غيرَ خارجٍ منها** ، وما كان من قواعدِ الدِّين . . لم يكن خافياً بظواهرِهِ علىٰ غيره[1] .

ويتَّضحُ من قولِ حُجَّة الإسلام : (**وما كان من قواعد الدين . . لم يكن خافياً بظواهره علىٰ غيره**) ؛ أنَّ ظاهرَ أصول الدِّين لا يخفىٰ على النَّاس ، وهو عقيدة العوامِّ ، ولها باطنٌ يخفىٰ علىٰ غيرِ أهلها ، وهي عقيدة الخواصِّ .

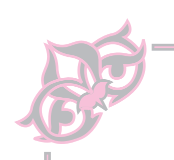
وكذلك يتَّضح أنَّ لعلوم الصُّوفيَّة الخفيَّة . . أمورٌ تَتَعَلَّقُ بأصول الدِّين وقواعِدِه أيضاً ، وليس بالتَّزكية فقط ، كما يزعم البعض .

فإن قيل : إن كان الظَّاهر لا يُناقِضُ الباطنَ . . فقد وجبَ فهمُهُ ، ولا معنىً لانقسامِ الأمرِ عندها لظاهرٍ وباطنٍ ، وإن كان يُناقِضهُ . . فهو كُفرٌ ؟!

الجواب : إنَّ حُجَّةَ الإسلام قد وضعَ أقساماً خمسةً . . وضَّحَ فيها أنَّ الظَّاهر لا يخالفُ الباطن ، وأنَّ معرفةَ الحقائق إنَّما هي مُتمِّمَةٌ للظَّاهرِ العامِّ .

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٦٤ وما بعدها ، كتاب قواعد العقائد) .



نلخِّص الأقسام بما يأتي :

قال رضي الله عنه :

القسم الأول : أنْ يكونَ الشَّيءُ في نفسه دقيقاً تَكِلُّ أكثرُ الأفهامِ عن دَرْكِهِ ، فيختصُّ بِدَرْكِهِ الخواصُّ . . .

القسم الثاني : مِنَ الخفيَّات الَّتي تمتنع الأنبياءُ والصِّديقونَ عن ذكرها . . ما هو مفهومٌ في نفسهِ ، لا يَكِلُّ الفَهمُ عنه ، ولـٰكنْ ذِكرُهُ يَضُرُّ بأكثرِ المستمعينَ ، ولا يضرُّ بالأنبياء والصِّدِّيقينَ . . .

القسم الثالث : أنْ يكونَ الشَّيءُ بحيثُ لو ذُكِرَ صَريحاً . . لَفُهِمَ ولم يكن فيه ضررٌ ، ولـٰكنْ يُكْنَىٰ عنه علىٰ سبيل الاستعارةِ والرَّمز ؛ ليكونَ وقْعُهُ في قلبِ المستمع أغلبَ ، وله مصلحةٌ في أنْ يَعظُمَ وقْعُ ذلك الأمرِ في قلبه ؛ كما لو قال قائلٌ : رأيتُ فلاناً يُقَلِّدُ الدُّرَّ في أعناق الخنازير . فكنَّىٰ به عن إفشاءِ العِلم وبَثِّ الحكمةِ إلىٰ غير أهلها ، فالمستمعُ قد يسبِقُ إلىٰ فهمه ظاهرُ اللفظ ، والمحقِّقُ إذا نظرَ وعلِمَ أنَّ ذلك الإنسان لم يكُنْ معه دُرٌّ ، ولا كان في موضعِهِ خِنزيرٌ . . تفطَّنَ لدرك السِّرِّ والباطِنِ ، فيتفاوت الناسُ بذلك . . .

القسم الرابع : أن يُدْرِكَ الإنسانُ الشيءَ **جُمْلَةً** ، ثُمَّ يدركه **تفصيلاً** بالتحقيق والذَّوقِ ؛ بأنْ يَصِيرَ حالاً مُلابِساً له ، **فيتفاوت العِلمان** ، ويكونُ الأوَّلُ كالقِشْرِ ، والثَّاني كاللُّبِّ ، والأوَّل كالظَّاهر ، والثَّاني كالباطن ، وذلك كما يتمثَّل للإنسان في عينه شخصٌ في الظُّلمة أو على البُعد ، فيحصل له نوع عِلمٍ ، فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظَّلام . . أدرَكَ تفرقَةً

بينهما ، ولا يكون الآخِرُ ضِدَّ الأوَّلِ ، **بل هو استكمالٌ له** . فكذلك في العِلمِ والإيمان والتَّصديق ؛ إذ قد يُصَدِّقُ الإنسانُ بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ، ولـٰكنَّ تحقُّقَهُ به عند الوقوع أكمَلُ من تحقُّقِه قبل الوقوع ، بل للإنسان في الشَّهوة والعِشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوالٍ متفاوتةٍ وإدراكاتٍ متباينةٍ :

الأوَّل : تصديقُهُ بوجودِهِ قبلَ وقوعِهِ ، والثاني : عند وقوعه ، والثَّالث : بعد تَصَرُّمِهِ ؛ فإنَّ تحقُّقَكَ بالجوع بعد زواله . . يخالفُ التَّحقُّق به قبل الزَّوال ؛ فكذلك من علوم الدِّين ما يَصيرُ ذَوقاً فيَكْمُلُ ، فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلىٰ ما قبلَ ذلك ، فَفَرقٌ بين عِلمِ المريض بالصِّحةِ وبين عِلمِ الصَّحيحِ بها .

ففي هـٰذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق **وليس في شيءٍ منها باطنٌ يناقضُ الظاهرَ ، بل يُتَمِّمُهُ ويُكَمِّلُهُ كما يُتَمِّمُ اللُّبُّ القِشْرَ** .

القسم الخامس : أنْ يُعَبَّرَ بلسانِ المقالِ عن لسانِ الحالِ ، فالقاصِرُ الفَهْمِ . . يقِفُ على الظَّاهرِ ويعتَقِدُهُ نُطقاً ، والبصيرُ بالحقائقِ . . يُدركُ السِّرَّ فيه ، وهـٰذا كقول القائل : قال الجِدارُ للوتَدِ : لِمَ تَشُقُّنِي ؟ قال : سَلْ مَن يَدُقُّنِي ، فلم يترُكْني ، وراءِ الحجر الذي ورائي .

فهـٰذا تعبيرٌ عن لسانِ الحالِ بلسانِ المقالِ[1] .

إذاً : العقيدةُ واحدةٌ عامَّةٌ ، والتَّباين في المراتبِ . . كائنٌ من مراتبِ

---

(١) « إحياء علوم الدين » (١/من ص٣٦٧ إلىٰ ص ٣٧٥ ، كتاب قواعد العقائد) بتصرُّف .

الذَّوقِ القلبيِّ والشُّهودِ الباطني ، ومن هُنا كان لمنازَلَةِ هـٰذه الأذواق اصطلاحٌ هو : عقيدة الخواصِّ .

فمَن يسمعُ بمكةَ . . غيرُ مَن يراها ، ومَن يراها . . غيرُ مَن يَدخل أزقَّتَها ، ويعلم تفاصيلها ؛ فمكة واحدة ، وكُلٌّ مِنهم يُخبِرُ عن عِلمهِ بها وخِبرتِهِ فيها ، وليسَ راءٍ كسامعٍ .

وهـٰذا ما ذكره الشيخُ الأكبر بنفسه ، في رسالته « الانتصار » ، مُبَيِّناً الفَرْقَ بين عقيدة العوامِّ والخواصِّ بقوله :

فإن قلت وفَّقكَ اللهُ : إنَّ المقامَ الذي أشرتَ إليه في المسألة منَ التَّوحيدِ . . هـٰذا هو اعتقادُ أهل السُّنةِ ، وفيه أفْنَتِ الأشعريَّةُ أعمارهَا حتىٰ عَلِمَتهُ ، فأيُّ غريبَةٍ أتىٰ هـٰذا الصُّوفي ، أو بأيِّ صفَةٍ زائدةٍ وردَ علينا ؟!

قلنا : صَدقتَ ـ وفَّقَكَ الله ـ فيما قلتَ ، لـٰكن بين الصُّوفيِّ والأشعريِّ ـ في مثل هـٰذه المسألةِ ـ ما بين : عَلِمتُ وعاينتُ ، وهو المعنى اللطيفُ الذي يَفضُلُ به الشَّاهدُ الغائبَ ، إنْ عَلِمنا قطعاً أنَّ الخليفةَ في الوجودِ . . لسنا كمَن شاهدَهُ وشاهدَ حضرتَهُ ؛ فلقد رأيت في مشاهدِه صفة واحدة[1] من صفات جلال الله عند فنائك عن نفسك ؛ نعني : كُلُّ أشعريٍّ على

(١) قوله : (فلقد رأيت في مشاهدِه صفة واحدة) جاء في الطبعة الهندية لمجموع « رسائل ابن العربي » (٢/ ١٧ ، الرسالة الثانية) : (فلقد في مشاهدِه صفة واحدة) ! وقد قمنا بتصحيح العبارة بالرجوع لمخطوطات أصيلة لهـٰذه الرسالة ، والسيد محمد شهاب الدين العربي بخدمته لمجموع « رسائل ابن العربي » (ص ٣٤٧) نقل العبارة كما هي في الطبعة الهندية ، وعلَّق قائلاً : (هكذا في الأصل) !

انظر « رسائل ابن العربي » ضبط : محمد شهاب الدين العربي ، وقدَّم له شيخه الشيخ محمود محمود الغراب ، وطبع في دار صادر سنة ١٩٩٧ ، بيروت .

البسيطَةِ ليس بصوفيٍّ ؛ ولهٰذا قيل : [من الوافر]

ولٰكـنْ للعِيـانِ لَطيـفُ مَعْنـىً ... لِـذا سَـأَلَ المُعَـايَنَـةَ الكَليـمُ

وهٰذا هو عينُ اليقينِ الذي يَفضُلُ عِلمَ اليقين .

ودليلي على ذلك : أنَّ أهلَ السُّنة وإن كان هٰذا هو اعتقادُهُم . . فإنَّهم يتغيَّرونَ عندما تجري أمورُ اللهِ تعالىٰ عليهم علىٰ غير مُرادهم ؛ مخالِفةً لأغراضِهم ، فكيف عند حلولِ البلايا العظيمة ؟ وهٰذا لعَدمِ مُشاهدةِ المُعَذِّبِ في العذاب ، أو المُنعِمِ في النِّعمةِ ، وهٰذا الرَّجلُ ـ صاحب البيت ـ وكلُّ مَن حَصَلَ في مقامِهِ . . لا يَتَغَيَّرُ لذلك ، بل يَلهجُ فرِحاً بمرادِ الله تعالىٰ ، فتَلحظَهُ ساكناً تحت مجاري الأقدار ، وسكونُهُ عبارةٌ عن ترك الاعتراضِ في فعلِهِ فيه ؛ فبهٰذا فَضُلتْ هٰذه الطائفةُ غيرَها ، وقد شوركوا في العلم ، وهٰذا القدرُ كافٍ في الجواب عن هٰذه المسألة[1] .

* * *

(١) رسالة « الانتصار » (ص ١٧ ، ١٨) .




الخلاصةُ من كلِّ ما سبقَ :

أوَّلاً : عقيدةُ العموم هي العقيدةُ الأساسُ التي دلَّ عليها الشَّرعُ ببيانه والعقلُ ببرهانه ، وهي التي تيسَّر فهمُها لكلِّ الناس ، وليس بها أيُّ تعقيدٍ والتباس ، ولذا سمِّيت بعقيدة العوامِّ أو العموم ؛ ولأنها بمتناول جُلِّ العقول وما أنتجه الدَّليلُ منَ فهومٍ .

وليس لإطلاق لفظ العوامِّ عليها أيُّ استنقاصٍ أو غضٍّ مِن قيمتها والعياذُ بالله ، إلا مِن حيثُ أنَّ مَن كان قابلاً للزِّيادة ولم يزدد . . فالنَّقص فيه ، لا فيها هي .

على حدِّ ما قيل : [من الوافر]

ولم أرَ في عيوبِ النَّاس عيباً كَنَقصِ القادرينَ على التَّمامِ

قال حجَّةُ الإسلام في « إلجام العوام » :

بل الرَّاسخونَ في العلم والعارفونَ منَ الأولياء إن جاوزوا في المعرفةِ حدودَ العوامِّ ، وجالوا في مَيدانِ المعرفةِ ، وقطعوا من بواديها أميالاً كثيرة ، فما بقي لهم مما لم يبلغوه بين أيديهم . . أكثر ، بل لا نسبة لما طُوي عنهم إلىٰ ما كُشف لهم ؛ لكثرة المطويِّ وقلَّة المكشوف بالإضافة إليه .

إلىٰ أن قال رضي الله عنه : فأوائل حقائق هـٰذه المعاني بالإضافة إلىٰ عوامِّ الخلق كأواخرها بالإضافة إلىٰ خواصِّ الخلق[١] .

---

(١) « إلجام العوام عن علم الكلام » (ص ٦١ ، ٦٢) .



ثانياً : هـٰذه العقيدة ـ **عقيدة العوامِّ** ـ يتساوىٰ في إدراك معناها الجميع على اختلاف المراتب العلميَّة ، وهي **المنجيةُ من نيرانِ الآخرة لِمَنِ اعتقَدَها ووفَّاها حقَّها** .

ثالثاً : عقيدة الخواصِّ هي **نِتاجُ الصِّدق في العمل بالعقيدة الأولىٰ** ، **فهي أذواقٌ قلبيةٌ** ، **وسَانِحاتٌ روحيَّةٌ** ، **ومُشاهداتٌ غيبيَّةٌ** ، **ومعارفُ قدسيَّةٌ** ، ولأهلِها إدراكاتٌ خاصَّة ، ولسانٌ خاصٌّ يعبِّرون به عن أذواقِهم ومشاهداتِهم .

رابعاً : إطلاق لفظ (عقيدة) علىٰ أذواق ومعارف الخواصِّ . . تجوُّزٌ في العبارة ، فلا يعني أنَّها تُناقضُ أو تنافي أو تُباينُ ما سبقها في الأصل إلا من حيثُ ظاهرُ الألفاظِ كما رأينا ، ومن حيثُ إنَّ التباينَ حاصلٌ في الإدراكاتِ بين العمومِ والخصوصِ ؛ بل هي تفصيلٌ للإجمال السَّابق ، فكلُّ لاحقٍ منَ الأقسامِ إنَّما هو مكمِّلٌ ومتمِّمٌ للسابق ، ومنَ البداهةِ أنَّ كثيراً ممَّا يوجدُ في التَّفصيلِ . . غيرُ موجودٍ في الإجمالِ .

قال الشيخُ الأكبر ، فيما نقله عنه سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعرانيُّ رضي الله عنهما :

اعلم أنَّ عينَ الشَّريعةِ هي عينُ الحقيقة ؛ إذ الشَّريعة لها دائرتان : عُليا وسُفلىٰ ، فالعُليا لأهل الكشف ، والسُّفلىٰ لأهل الفِكْر ، فلمَّا فتَّشَ أهلُ الفِكْر علىٰ ما قاله أهلُ الكشف فلم يجدوه في دائرة فِكْرهم . . قالوا : هـٰذا خارجٌ عن الشَّريعة !

وقال رضي الله عنه ، أيضاً :



فكما أنَّ علومَ الفِكْرِ أحدُ طَرَفَي الشَّريعة . . فكذلك علومُ أهلِ الكشف ، فهما متلازمان ، ولـٰكنْ لمَّا كان الجامع بين الطَّرفين عزيزٌ . . فرَّقَ أهلُ الظَّاهر بينهما[1] .

خامساً : لمَّا ظهرَ في كلمات العارفين منَ العلوم المختصَّة بمرتبتهم ـ مرتبة المشاهدة بنور اليقين ـ مخالفةُ ظاهرِ كلماتهم لمرتبة مَن سبق . . ظنَّ المنكِرُ أنَّ هـٰذا التَّقسيمَ إنَّما هو تقسيمٌ حقيقي ، بمعنى : منافاته للعقيدة الحقَّة ، وإنَّما جرَّ المنكِرَ لهـٰذا . . قصورُ نظره ، وقد فطِن لهـٰذا الأمرِ جملةُ العارفين فأثبتوا في غالب كتُبِهم عقيدةَ العوامِّ ، وشهدوا بها وأشهدوا ؛ ليقولوا لقاصري الإدراك : هـٰذه عقيدتُنا أثبتناها ، فلا تُسيئوا الظنونَ بنا إن رأيتم في كلامنا ما لا تعلمُونَه . وهـٰذا من رحمتهم بالخلق رضي الله عنهم .

وهو ما فعله الشيخ الأكبر في مقدِّمة « فتوحاته المكيَّة » فشهِدَ بها وأشهَدَ عليها كما رأينا ، **ولم يفعل ذلك ليوهِم الناسَ ويَغُرَّ العلماءَ** !! كما اتَّهمهم بذلك الشيخُ الفاضل سعيد فودة ـ عفا الله عنه ـ مسيئاً ظنَّه بالشيخ الأكبر وأمثالِه ، فقال في رسالته « منح الودود في بيان مذهب وحدة الوجود » :

(ولم يبتدئ ابنُ عربي كتابَه هـٰذا [يقصد « الفتوحات المكيَّة »] بهـٰذا المختصر . . **إلا ترويجاً** له بين الناس ؛ **لا اعتقاداً خالصاً** بهـٰذه العقيدةِ ، وقد انخدع بذلك كثيرٌ منَ النَّاس والعلماء فصاروا يتوقَّفون في مسائل

(١) هـٰذا النقل والذي قبله في « اليواقيت والجواهر » (ص ٥٤) ، وأصل كلام الشيخ الأكبر في « الفتوحات المكية » (الباب ٢٦٣) ، (٢/٥٦٣) .

كثيرة موجودة في كتب ابن عربي ؛ لملاحظتهم ابتداءه بهـٰذه العقيدة في أوَّل كتابه ، فيقولون : كيف يمكِن أن يقول ابن عربي بعقيدة وحدة الوجود وقد ابتدأ كتابه بعقيدة الأشاعرة ؟!

وكيف يمكن أن يقول ابن عربي بالفيض الفلسفي وهو قائل بعقيدة الأشاعرة ؟! وكيف وكيف . . . بل صار بعض العلماء إذا أراد أن يوضِّحَ عقيدةَ ابن عربي . . يكتفي بذكر هـٰذا المختصر المشار إليه .

وكل ذلك في نظري . . غير صحيح ولا موافق للتَّحقيق ؛ لأنَّ الصَّحيح أنَّ ابن عربي وإنِ ابتدأ كتابه بذلك المختصر . . إلا أنَّه سمَّاه بعقيدة العوامِّ ، وعقَّبه بعقيدة الخواصِّ وخاصَّة الخاصَّة ، ثم إنَّ لابن عربي كُتباً كثيرةً غير هـٰذه الصَّفحات التي ابتدأ بها « الفتوحات المكية » ، وكثيرٌ من هـٰذه الكتب فيها منَ العقائد ما يخالف ما صرَّح به في عقيدته تلك .

فكيف يجوِّزُ الباحث لنفسه أن يجعل من هـٰذا المتن المختصر حاكماً علىٰ كل تلك الكتب والكلمات المصرِّحة بالخلاف ؟! إن هـٰذا لعمري انحراف عن الحق) .

نقول تعقيباً علىٰ كلام الشَّيخ الفاضل سعيد فودة **في قوله** :

(ولم يبتدئ ابن عربي كتابه هـٰذا بهـٰذا المختصر . . إلا ترويجاً له بين الناس ؛ لا اعتقاداً خالصاً بهـٰذه العقيدة) .

ثم ما قاله الشيخ فودة بعد هـٰذه الكلمات في معرض نقده : (ثم إنَّ لابن عربي كتباً كثيرة غير هـٰذه الصفحات التي ابتدأ بها « الفتوحات

المكية » ، وكثير من هٰذه الكتب فيها منَ العقائد ما يخالف ما صرَّح به في عقيدته تلك. . .) .

فنسأل الشيخ فودة : إذا كان ما ساقه الشيخ الأكبر من عقيدة أهل الحق في أوَّل الفتوحات. . ترويجاً له بين الناس والعلماء ، وزعمك أنَّه قد خدعهم !! فلماذا لم يبتدئ كتبه الكثيرة ـ التي زعمتَ بأنَّه خالف أهل الحقِّ بها ـ بهٰذه العقيدة مثلاً ؛ ليروِّجها كما تزعم ؟!

ولا يصحُّ لمن يريد ترويج الباطل. . أن يغفُلَ عن ترويجه في جميع ما يكتب ؛ لأنَّه يعلم أنَّ كلَّ كتابٍ له. . لن يصلَ إلىٰ كلِّ الناس ؛ فقد يصِلُ منها ما ليس فيه تلك العقيدة ، فلا يصحُّ له الترويج حينئذ !!

هٰذا مع أنَّ جُلَّ مَن كتَبَ في التَّصوف. . قدَّم بين يدَي كتُبه عقيدةَ العوامِّ التي هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة منَ الأشاعرة والماتُريديَّة ، ثم أتبعها بعلوم الأسرار والمعارف الباطنة عن أفهام كثيرٍ منَ العلماء فضلاً عمَّن دونهم ! كصنيع الأئمةِ : الطُّوسي ، والهجويري ، والكلاباذي ، والخركوشي ، والقشيري ، والغزالي رضي الله عنهم أجمعين .

فهل نقول علىٰ حدِّ ما قال الشيخ فودة : بأنَّهم خدعوا الناسَ والعلماءَ بتقديمهم عقيدة أهل الحق ليختبؤوا خلفها ؟!

وإن لم نقل نحن هٰذا ؛ فقد يتخذ أعداءُ هٰؤلاء العلماء السَّادة من كلام الشيخ فودة. . ذريعةً للطعن بهم !

وبناء علىٰ سوء ظنِّ الشيخ فودة بالشيخ الأكبر. . لا ملامةَ على الإمام أبي عبدالله المازري المالكي عندما أساء ظنَّه وتكلَّم بحقِّ حجَّة الإسلام

الغزالي وكتابه « الإحياء » ، وذكر أنَّ الإمام الغزالي دَفَنَ فيه حبال الباطل[1] !! ولم تشفع عقيدة الإمام الأشعري في مقدمة كتاب « الإحياء » للإمام الغزالي عند الإمام المازري ، مع أنَّ البون شاسع ما بين « إحياء علوم الدين » و« الفتوحات المكيَّة » ؛ فالأوَّل موضوعه علم المعاملة ، والثاني موضوعه علم الحقيقة .

فهل يقول الشيخ فودة بمقولة المازري بحقِّ « الإحياء » وصاحبه ؛ كما قالها بحقِّ « الفتوحات » وصاحبها ؟!

أمَّا تتمة قول الشَّيخ فودة : (لا اعتقاداً خالصاً بهٰذه العقيدة) !

فجوابه ما قاله الشَّيخ الأكبر : (**فهٰذه شهادتي علىٰ نفسي ؛ أمانةً عند كل مَن وصلت إليه . . أنْ يؤديها إذا سُئِلها حيثما كان** ، نفعنا الله وإيَّاكم بهٰذا الإيمان ، وثبَّتنا عليه عند الانتقال من هٰذه الدار إلى الدار الحيَوان ، وأحلَّنا منها دار الكرامة والرضوان ، وحال بيننا وبين دارٍ

---

(١) انظر الطعون علىٰ حجة الإسلام الغزالي والرَّد عليها في كتاب « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٤٠) للإمام التاج السبكي رضي الله عنه .

وما أعظمَ كلام الشيخ الإمام العلامة التَّقي السبكي رحمه الله تعالىٰ في الرَّد علىٰ طعن الإمام المازري والإمام ابن الصَّلاح في حجَّة الإسلام الغزالي ؛ إذ قال : (وأين نحن ومَن فوقنا وفوقهم . . مِن فهم كلام الغزالي ، أو الوقوف علىٰ مرتبته في العلم ، والدِّين ، والتَّألُّه ؟! .

ولا يُنكَر فضل الشيخ تقي الدِّين ـ [أي : الإمام ابن الصلاح] ـ وفقهه ، وحديثه ، ودينه ، وقصده الخير ؛ ولٰكن لكل عمل رجال .

ولا يُنكَر علو مرتبة المازري ؛ ولٰكن كل حالٍ . . لا يعرفه مَن لم يذقْه أو يشرِف عليه ، وكل أحدٍ إنَّما يتكيَّف بما نشأ عليه ووصل إليه) . اهـ « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٥٦) .

سرابيلها من قطِران ، وجعلنا منَ العصابة الذين أخذتِ الكتب بالأَيمان ، وممَّن انقلب منَ الحوض وهو ريَّان ، وثُقِّل له الميزان ، وثَبَتَ له على الصراط القدمان ، إنَّه المُنعم المنَّان .

و ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٤٣]) .

فهٰذا أمرٌ سيُسأل الشيخ فودة عنه أمام الله تعالىٰ ، فما قاله رجمٌ بالغيب ، وسوءُ ظنٍّ بمَن أَشهَدَ الله وملائكته والناس أجمعين . . بأنَّه علىٰ هٰذه العقيدة !! وماذا يفعل بهٰذه العقيدة الحقَّة إذا جاءت تُحاجِجُ عن صاحبها يوم القيامة ؟!

ونذكِّر الشيخ فودة ـ عفا الله عنه ـ بحديث سيدنا أسامة حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله قالها خوفاً منَ السيف ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « أفلا شققت عن قلبه ؟ »[١] .

أمّا قول الشَّيخ فودة : (وقد انخدع بذلك كثيرٌ منَ الناس والعلماء) .

فهو منَ العجب بمكان ، وهل كلُّ هٰؤلاء أغرارٌ مخدوعون سُذَّجٌ ؟!

بل نقول : كثيرٌ منَ العلماء لم يَقِفْ في قراءته لـ« الفتوحات المكية » عند هٰذه العقيدة ؛ بل كان يُتابع القراءةَ والتَّدقيقَ والتَّحقيقَ ؛ بل كثيرٌ منَ العلماء الجِلَّة يدرِّس « الفتوحات المكية » وغيرها من كتب الشيخ الأكبر لخواصِّ تلامذتهم ، ومَن له استعدادٌ منهم ، فكيف تخدعهم ورَيْقاتٌ في أوَّله . . وهم يحقِّقونَ كلماته ، ويغوصونَ في أسرار عباراته ، ويتعرَّفونَ

---

(١) رواه مسلم (٩٦) .

لمُنازلاته ، ويرتعونَ في رياضه ، ويشربونَ من بحوره ، ويسقونَ من حياضه ؟!

فخذ لهٰذا مثالاً ؛ لتعلمَ مَن هو الذي خدعته ظنونه في هٰذه الصفحات القليلة بسبب أحكامه المسبقة علىٰ صاحبها :

قال الأستاذ البحَّاثة محمد رياض المالح رحمه الله ، في كتابه الحافل الماتع « الشَّيخ الأكبر سلطان العارفين وإمام المحقِّقين وبقيَّة المجتهدين » :

(أثرُ من عَرَفتُهُم من محبي الشَّيخ الأكبر رضي الله عنه :

١ـ شيخ علماء الشام على الإطلاق ورئيس رابطتهم الشَّيخ أبو الخير الميداني (ت : ١٩٦٠م) رحمه الله ، كان يُدَرِّس ويَقرأ « الفتوحات المكية » بعد تلاوة الأوراد النقشبندية يوم الجمعة من كل أسبوع بعد الفجر .

٢ـ الشَّيخ العارف ، شعرانيُّ زمانه ، سيدي محمد الهاشمي (تـ : ١٩٦٣م) رحمه الله ، شرح « شطرنج العارفين » للشيخ الأكبر ، وكان يقرأ « الفتوحات » و« عنقاء مُغرِب » .

٣ـ سيدي المرحوم محمد مكِّي الكتاني الفاسي نزيل دمشق (تـ : ١٩٧٣م) كان رحمه الله يقرأ « الفتوحات » بعد الضحىٰ بساعة من يوم الاثنين من كل أسبوع في جامع « مازي » ، وبدأ بالمجلد الثالث من « الفتوحات » وتوفي رحمه الله . وكذلك يقرأ « روح القدس » في منزله بالعمارة يوم الخميس قبل الظهر من كل أسبوع ، وكان يقرأ « الموازين الذرِّيَّة في شرح عقائد ابن عربي وابن قسي وابن سبعين » للشعراني ،

وكان هٰذا الدَّرس خاصَّاً يوم الثلاثاء بعد العصر من كل أسبوع ، وكان يقرأ « الأنوار » للشيخ عبد الكريم الجيلي ، وكان يقرأه بعد درس « الفتوحات » يوم الاثنين من كل أسبوع .

٤ـ الشَّيخ العارف محمد سعيد البرهاني (تـ : ١٩٦٧م) كان يحلُّ غوامض كلام سيدي محيي الدين ، وكان يدرِّس « الفتوحات » للشيخ الأكبر ، و« المواقف » للأمير عبد القادر الجزائري ، و« الإبريز » للدباغ ، وكان في النُّزهات يصطحب معه « روح القدس » ، و« محاضرة الأبرار » ، و« مشاهد الأسرار القدسية » كلها للشيخ الأكبر ، يَقرأُ فيها لتلامذته رحمه الله .

٥ـ العلامة الفقيه الزَّاهد سيدي عبد الوهاب دبس وزيت (تـ : ١٩٦٩م) كان كثيراً ما يذكر مناقب الشَّيخ الأكبر في دروسه .

٦ـ الشَّيخ العلامة المحدث الثَّبْت شيخ المدينة المنورة علىٰ ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، الشيخ إبراهيم الفضلي الختني (تـ : ١٩٦٩م) رحمه الله ، كان محبَّاً للشيخ الأكبر ويطلب كتبه .

٧ـ الشَّيخ بقية السلف السَّيِّد محمد العربي التبَّاني الجزائري[1] ، كان له محبَّة ولَعٌ بكتب الشَّيخ محيي الدين .

٨ ـ الشَّيخ العارف بالله أحمد الحارون العسل (تـ ١٩٦٢م) .

٩ـ السيدة فاطمة اليشرُطيَّة ، ابنة الشيخ العارف بالله علي نور الدين اليشرُطي الشَّاذلي قدَّس الله سرَّه ، كانت مولعة بالشَّيخ الأكبر .

---

(١) صاحب كتاب « براءة الأشعريين من عقائد المخالفين » .

١٠ـ الشَّيخ العلامة العارف بالله إبراهيم اليعقوبي (تـ : ١٩٨٥م) رحمه الله ، كان يقرأ « الفتوحات » كل خميس بداره بعد العصر .

١١ـ الشَّيخ محمود الرَّنكوسي خادم المحدث الأكبر بدر الدين الحسني ، كان يقرأ « الكبريت الأحمر » و« اليواقيت والجواهر » للإمام الشعراني) انتهى مختصراً[١] .

هـٰذا مثال سُقناه ليُعلمَ أنَّ هـٰؤلاء علماء الشام المحقِّقين ـ الذين حفِظوا على النَّاس أصول الدِّين ـ لم يكونوا سُذَّجاً ولا مغترِّين بعقيدةٍ ساقها الشَّيخ الأكبر في مقدِّمة كتابٍ من كتبه ؛ ليوهم الناس بها ، بل والعلماء ! كما زعم الشيخ الفاضل سعيد فودة غفر الله له .

ونختِم مقدِّمتنا بكلام الإمام خليل بن أَيْبَك الصفديِّ ، بحقِّ كتاب « الفتوحات المكيَّة » وعقيدة العوامِّ التي في مُقدِّمته ، وصاحبها الشيخ الأكبر ، قال رحمه الله تعالىٰ :

وقفتُ علىٰ كتابه الذي سَمَّاهُ الفتوحات المكية ـ لأنَّهُ صنفه بمكَّة ـ وهو في عشرين مجلَّدة بِخَطِّهِ ، فرأيت أثناءه **دقائق وغرائب وعجائب ليست تُوجد في كلام غيره ، وكأنَّ المنقول والمعقول متمثِّلان بين عَينَيهِ في صورةٍ محصورةٍ يشاهدها ، متىٰ أراد أتىٰ بالحديث أو الأثر ونزَّله علىٰ ما يُريدهُ ، وهـٰذه قدرة ونهاية اطلاع ، وتوقُّد ذهن ، وغاية حفظ وذكر ، ومَن وقف علىٰ هـٰذا الكتاب . . علم قدره ، وهو من أجلِّ مصنَّفاته .**

---

(١) كتاب « الشَّيخ الأكبر سلطان العارفين وإمام المحقِّقين وبقية المجتهدين » من (ص ٧٥٩ إلى ٧٧٠) .

وقد ذكر فيه ـ في المجلدة الأولى ـ **عقيدته** فرأيتها **من أوَّلها إلىٰ آخرها عقيدة الشيخ أبي الحسن الأشعري ليس فيها ما يُخَالف رأيه** ، وكان الذي طلبها منِّي بصفد وأنا بالقاهرة ، فنقلتها ـ أعني العقيدة لا غير ـ في كُرَّاسة وكتبت عليها : [من الخفيف]

لَيْسَ فِي هَـٰذِه العقيدة شيءٌ ... يَقْتَضِيهِ التَّكْذِيبُ والبهتانُ
لاَ ، وَلاَ مَا قد خَالف الْعقلَ وَالنَّقْـ ... ـلَ الَّذِي قد أَتَىٰ بِهِ الْقُرْآنُ
وَعَلَيْهَا للأشعريِّ مدارٌ ... وَلها فِي مقالِهِ إِمْكَانُ
وعَلىٰ مَا ادَّعَاهُ يتَّجه الْبَحْـ ... ـث وَيَأْتِي الدَّلِيلُ والبرهانُ
بِخِلاَف الشَّيَاع عَنهُ ، وَلَـٰكِن ... لَيْسَ يَخْلُو من حاسدٍ إِنْسَانُ »

) اهـ بتصرُّف[1]

---

(١) « الوافي بالوفَيَات » (٤/ ١٢٥) في ترجمته للشيخ الأكبر رضي الله تعالىٰ عنه .

فإن قيل : إنَّ الإمام الشمس السخاوي رحمه الله تعالىٰ في كتابه « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » ردَّ على الإمام الصفدي وصْفَه لعقيدة الشيخ الأكبر بعقيدة الأشعري ، وساق جملةً من كلام الإمام الأهدل ، من كتابه « كشف الغطاء » يردُّ فيه ما ادَّعاه الإمام الصفدي ، ونقل نصوصاً منَ « الفتوحات المكيَّة » و« فُصوص الحكم » تُخالف عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري ، ثمَّ قال ـ أي الإمام السخاوي ـ : فأينَ عقيدة الأشعري ؟!

فالجواب : أنَّ ما كتبناه في مقدِّمتنا لهـٰذه الرسالة كفيلٌ ـ لمن تمعَّن ـ بردِّ هـٰذا الاعتراض، **وسيكون لنا ردٌّ تفصيليٌّ في كتابٍ جامعٍ لما اعترِض به على الشيخ الأكبر** .

ولـٰكن العجب من صنيع الإمام السخاوي كيف أورد كلام الإمام الصَّفدي في كتابه « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » (ص ٤٢٢) ضِمنَ الفصل الثامن من كتابه المذكور ، والذي عقده في ذكر الطاعنين على الشيخ الأكبر ، متعلِّلاً بقول الإمام الصفدي : (ولم أكن وقفتُ علىٰ شيء من كلامه ، ثمَّ إنِّي وقفتُ علىٰ « فصوص الحكم » التي له . . فرأيت فيها أشياء مُنكرَة الظَّاهِر لا توافق الشَّرع ، وما فيه شكٌّ أنه=

ونقول لكل سالكٍ عليٍّ الهمَّة ، رفيعِ الإرادة : إنَّ الشيخ الأكبر رضي الله عنه **ابتدأ** كتابه « الفتوحات المكية » **بعقيدة** الإمام أبي الحسن **الأشعري عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة ، وختَمَه بالوصايا**[1] **والحِكَم القُرآنية ، والأحاديث** الشريفة **النَّبوية** ، وكلاهما محلُّ اتِّفاقٍ بين علماء الأُمَّة المحمَّديَّة ، **فمَنِ اعتقد بما في أوَّله وعمِلَ بما في آخره** . . **نالَ ما بينهما** من معارف ربانيَّة ، وحقائق إلـٰهيَّة ـ إن شاء الله تعالى ـ والمطلوب من كل ذلك وجه الحقِّ سبحانه وتعالىٰ .

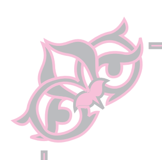
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

❋ ❋ ❋

= يحصل له ولأمثاله حالات عند معاناة الرياضات في الخلوات . . يحتاجون إلى العبارة عنها ؛ فيأتون بما تقصر الألفاظ عن تلك المعاني التي لَمَحوها في تلك الحالات ، فنسأل الله العصمة من الوقوع فيما خالف الشَّرع) مع أنَّ ظاهر كلامه لا يفيد الطعن ، بل التَّوقف والاعتذار !!

ويلزم من كلام الإمام السخاوي بعد إيراده بعض النصوص من كتاب « الفتوحات المكية » المعترَضِ بها على الشيخ الأكبر . . اتهامَ الإمام الصفدي بعدَم معرفته لما يقوله ؛ لأنَّه ـ أي : الإمام الصفدي ـ صرَّح بقراءته للفتوحات المكية كاملاً ، ولم ينكر شيئاً منها ، بل **توجَّه إنكاره لظاهر بعض العبارات** في « فصوص الحكم » ، واعتذر للشيخ الأكبر وللقوم بأنَّ ما يرِدُ علىٰ قلوبهم منَ الحقائق . . لا يسعه ظروف الحروف .

(١) قال الإمام شرف الدين ابن المقرئ الشافعي صاحب « الرَّوض » وغيرها من المؤلفات البديعة ، في كتابه « النصيحة » ـ مع أنَّ الشيخ ابن المقرئ من أشدِّ المكفِّرين للشيخ الأكبر ـ : (وقفتُ علىٰ « وصايا » ابن العربي ، فرأيتُ أنَّه ذهبَ فيها المذهبَ الحَسَن ، وجمعَ فيها ما جمعَ منَ الحِكَم والسُّنَن ، والحثِّ علىٰ مكارم الأخلاق ، والأدب مع الله الكريم الرزاق . . .) اهـ نقله السخاوي عنه في كتابه « القول المنبي عن ترجمة ابن العربي » (ص ٦٧٩) .




فارس ميدان الحقيقة العارف البيتماني

قد لا يكون مناسباً مع قصر هٰذه الرسالة ـ قليلة المبنىٰ كثيرة المعنى ـ التَّوسع والإطالة في ترجمة المؤلِّف العارف بالله الشيخ البيتماني ، ولٰكنَّ مناسبة كونها أوَّل تأليف له يظهر إلىٰ نور عالم المطبوعات[(١)] . . يوجب علينا أن نُعرِّف القُرَّاء بهٰذا الإمام الجليل .

اعتمدنا في ترجمة إمامنا البيتماني علىٰ مرجعَين لا ثالث لهما ، وعلىٰ كتبه ورسائله المخطوطة التي استخرجناها من فهارس المخطوطات في مكتبات العالم ، والتي ستصدرُ إن شاء الله تعالىٰ تباعاً عن دار الشيخ الأكبر تحت عنوان « **سلسلة مؤلفات العارف البيتماني** » .

أمَّا بالنسبة للمرجعين :

فالأوَّل منهما : كتاب « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر »[(٢)] .

---

(١) خلا كتابي « الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلـٰهية » ، و« كشف أستار التوحيد للمريد عن وجه جلالات القرآن المجيد » اللَّذَين طبعتهما دار الكتب العلمية طبعة كثيرة الأخطاء ، حُكْمُها حُكمُ العدم في عالم التَّحقيق للنَّص المخطوط !!

(٢) لمفتي دمشق الشام ، ونقيب أشرافها ، العلامة المؤرِّخ ، السيد محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد ، المعروف بالمرادي ، الحسيني الحنفي الدمشقي (١١٧٣ـ ١٢٠٦ هـ) ، وكتابه « سلك الدرر » وضِعَ لتراجم أعيان القرن الثاني عشر ، فهو العمدة في بابه .




والثاني : كتاب « الوِردُ الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبدالغني النابُلُسي »[١] .

وترجمة العلامة الغزي للعارف البيتماني في « الوِرد الأنسي ».. اقتصرت على جانب علاقة الشيخ البيتماني بأستاذه العارف النابلسي ، وذكر أحواله ووقائعه معه ، نقل فيها العلامة الغزي أغلب رسالة الشيخ البيتماني في شيخه سيدي الأستاذ عبد الغني النابلسي ، والتي سمَّاها : « المشرب الهني القدسي في كرامات الشيخ عبدالغني النابلسي » ، ولم يذكر شيئاً من مؤلَّفاته ، ومشايخه ، وغير ذلك مما ذكره العلامة المرادي في « سلك الدرر » .

أمَّا كتب ورسائل الشيخ البيتماني المخطوطة فقد استفدنا منها في ترجمته أشياء لم يذكرها العلامة المرادي والعلامة الغزي ، سنشير إليها في ترجمته ، فنقول :

هو الشيخ الإمام ، الصوفيُّ الزَّاهد ، العابد النَّاسك ، الصَّالح المُرشد ، الكامل العارف[٢] ، فارس الميدان[٣] ، جمال الدين

---

(١) لمفتي الشافعية بدمشق وابن مفتيها ، العلامة ، المؤرخ ، السيد محمد كمال الدين بن محمد شريف الغزي العامري الحسني (١١٧٣ ـ ١٢١٤ هـ) ، وكتابه « الوِردُ الأنسي » وضعه في ترجمة جدِّ والده لأمِّه العارف بالله الأستاذ الشيخ سيدي عبدالغني النابُلُسي ، وترجم للعارف البيتماني في الباب السادس من الكتاب المذكور الذي جعله في تراجم تلاميذ الأستاذ عبدالغني النابلسي ، والآخذين عنه ، وأحوالهم معه .

(٢) أَطلق عليه هـٰذه الألقاب السنيَّة ؛ العلامة المرادي في « سلك الدرر » ، والعلامة الغزِّي في « الوِردُ الأنسي » ، وهُما مَن هُما في السيادة والعلم ، والورع في إعطاء الألقاب !

(٣) أَطلق عليه هـٰذا اللقب شيخه الأستاذ العارف عبدالغني النابلسي ، ولا تخفى التَّورية =

أبو الهدىٰ[1] حسين بن الشيخ طعمه الخطيب ، ابن الشيخ طعمه البيطار بن الشيخ محمد الحاج ، الحسيني نسباً ، الشافعي مذهباً ، القادري طريقةً ومشرباً ، البيتماني مولداً ، الدمشقي الميداني موطناً[2] .

ولد الشيخ حسين في قرية من قرىٰ دمشق تُسمَّىٰ (بيتما)[3] ، وبها اشتهر فيما بعد ، وقد رحل منذ نعومة أظفاره بصحبة والده الشيخ طعمه إلىٰ دمشق واستقرَّ بها[4] .

أمَّا كونه شريف النَّسب رضي الله عنه ، فالظاهر من كلامه في أغلب كتبه ورسائله عند التعريف بنفسه قائلاً : (القادري طريقة ونسباً) أنَّ نسبه يتصل بالدَّوحة الحسنيَّة ، ومعلوم بالاستفاضة بين أهل الأنساب والتراجم

= في ذلك من أنَّه فارس مَيدان علم الحقيقة ، ولسكناه في حيِّ الميدان الدِّمشقي . انظر « سلك الدرر » (٢/ ٥٢) .

(١) تلقيبه بجمال الدين ، وتكنيته بأبي الهدىٰ ؛ ذكره الغزِّي في « الوِرد الأنسي » دون صاحب « سلك الدرر » .

(٢) هٰكذا يعرِّف الشيخ البيتماني نفسه في أغلب كتبه ورسائله ، مع نقصٍ وزيادة ببعض الأوصاف من كتاب إلىٰ آخَر .

(٣) لا تزال قرية بيتما قائمة ، وهي من أعمال ناحية سعسع التابعة إدارياً لمدينة قطنا ، تبعد ٢١ كم عن مدينة قطنا ، وعن مدينة دمشق ٤١ كم تقريباً ، يطلق عليها (بيتيما) و(بيت أيما) ، وهي كلمة سريانية بمعنىٰ : بيت اليتيم ، فيها ديرٌ للنصارىٰ باسم (دير بيتيمين) ، وديرٌ باسم (دير العمود) . انظر كتاب « محافظة ريف دمشق مدنها وبلداتها وقراها ومزارعها » (ص ١٣٥) .

(٤) لم يرد ذكر سنة ولادة العارف البيتماني في « سلك الدرر » ولا في « الوِرد الأنسي » ولٰكنَّ الشواهد تؤكِّد أنَّه رضي الله عنه ولد في حدود سنة ١١١٥ هـ تقريباً ؛ لأنَّه كما سيأتي في ترجمته لازم ـ وهو دون البلوغ ـ العلامة الملا إلياس الكردي المتوفىٰ سنة ١١٣٨ هـ ، خمسة عشر سنة في جامع العدَّاس وتربَّىٰ عليه ، وعليه فلا شكَّ أنَّه ولد سنة ١١١٥ هـ تقريباً .

أنَّ الإمام عبدالقادر الجيلاني يرجع نسبه إلىٰ مولانا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

والصحيح أنَّ نسب العارف البيتماني من جهة أبيه يتَّصل بمولانا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ؛ فقد نصَّ في رسالته « سلسلة تلقين الذكر »[١] علىٰ أنَّ نسبه صياديٌّ رفاعيٌّ حسيني ، فقال عند ذكره لسلاسله في تلقين الذكر : (تلقَّنتُها بفضل الله وكرمه بعد التربية الشرعية والمبايعة على الطريقة المرضية من حضرة سيدي والدي العارف الكامل الثقة الخطيب الشيخ السيد الحسيب النسيب الحسيني طعمه القادري الصيَّادي الرِّفاعي **المتصل ارتفاع نسبه** الشريف من أربعة سلاسل صالحة صحيحة إلى الإمام السيد إبراهيم بن الإمام السيد موسى الكاظم بن الإمام السيد جعفر الصادق بن الإمام السيد محمد الباقر بن الإمام السيد علي زين العابدين الحسيني رضي الله عنهم أجمعين) .

ونصَّ كذلك على اتصاله بالدَّوحة الحُسينية في بداية كتابه « الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلـٰهية » قائلاً : (يقول العبد الفقير ، العاجز الحقير ، السيد حسين بن الشيخ طعمه البيتماني ثم الدمشقي ، الشافعي مذهباً ، القادري مشرباً ، الصيَّادي نسباً[٢]) .

---

(١) رسالة « سلسلة تلقين الذكر » من أواخر ما ألَّف العارف البيتماني سنة ١١٧٠ هـ ، وهي بأصلها إجازة في الطريقة القادرية لتلميذه الشيخ محمد بن حسن آغا بن مصطفىٰ آغا الشهير بابن المملوك ، كما ذكر فيها .

(٢) من عجائب ما جاء في طبعة دار الكتب العلمية لكتاب « الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلـٰهية » بتحقيق الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيَّالي الحسيني الشاذلي الدَّرقاوي ؛ أنَّ كلمة (الصيادي نسباً) كتبوها هـٰكذا [الصياد يانب] ، وعلَّق عليها =

وهٰذا ما يفسر قول العلامة المرادي في « سلك الدرر » عند ترجمته للعارف البيتماني : (الميداني القادري **الرفاعي**) .

إذاً ؛ فكلام المترجَم له . . نصٌّ في شرف نسبه رضي الله عنه ، ولم نقف علىٰ كلام أحدٍ من أهل الأنساب والتاريخ والتراجم ممَّن عاصر العارف البيتماني أو جاء بعده . . اعترض علىٰ نسبه أو أنكره .

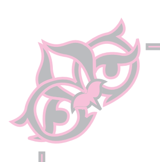
أمَّا والده الشيخ العارف بالله طعمه البيتماني . . فلم نقف له كذلك علىٰ ترجمة سوىٰ ما نقله عنه ابنه العارف بالله الشيخ حسين البيتماني بقوله المتقدِّم الذِّكر : (العارف الكامل ، الثقة الخطيب ، الشيخ السيد ، الحسيب النسيب الحسيني ، طعمه القادري ، الصيَّادي الرِّفاعي) .

ولعله كان من أهل الخفاء والخمول شأنُ كثيرٍ من أهل الله عزَّ وجلَّ .

* * *



= الشيخ الدكتور : هٰكذا وردت العبارة في الأصل المخطوط !




بين العارف الياس الكردي والأستاذ عبد الغني النابلسي

(الرضاع والفطام)

لازم العارف البيتماني وهو دون البلوغ الإمام العالم العلاَّمة بقيَّة السَّلف الصالح الشيخ الملا إلياس الكردي (١٠٤٧ـ ١١٣٨ هـ) نزيل دمشق ، وما أدراك مَنِ الإمام الملا إلياس الكردي ، وخدَمه في خلوته بجامع العدَّاس في محلة القنوات[1] ، وربَّاه أكثر من أبيه وأمِّه حتىٰ بلغ مبلغ الرجال ، فقرأ عليه في كتب الفقه ، والتصوف ، والآداب المحمدية ومكارم الأخلاق ، ورياضات النفس . . ما به الكفاية في أمور الدين وسلوك طريق المريدين ، وانتفع به وشمله نظره وأجازه بمروياته في هٰذا

(١) بحثنا عن جامع العدَّاس في محلَّة القنوات لنتبرك بآثار خلوة بقيَّة السلف الصالح الإمام إلياس الكردي ، كما فعل العلامة الإمام تقي الدين السبكي عندما تبرَّك بموضع جلوس الإمام النووي في دار الحديث . . فلم نجد لجامع العدَّاس أثراً ، وسألنا عنه أهل الاختصاص فلم يسعفنا أحدٌ بمعلومة عنه ، حتَّىٰ وقفنا علىٰ كلام محقق كتاب « لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولىٰ من القرن الحادي عشر » للغزي ، الأستاذ محمود الشيخ رحمه الله تعالىٰ في (ج٢ ، ص ٤٨٣) في ترجمة الشيخ عبد الله المصري ، في الحاشية (رقم ٢) ، قال : (كان يقع بمحلة القنوات ، خارج باب الجابية بالشابكلية ، بناه الشيخ أحمد العداس المتوفىٰ سنة ٨٦٥ هـ ، **وقد تهدَّم**) اهـ



الطريق عن مشايخه الكرام ، وكانت مدَّة تلمذته له أكثر من خمسة عشر سنة .

ولا بُدَّ لنا من وقفة عند ترجمة الإمام القدوة الملا إلياس الكردي (١٠٤٧ ، ١١٣٨ هـ) رضي الله عنه ؛ لمعرفة قدر هـٰذا الرجل الكبير .

قال العلامة المرادي في « سلك الدرر » (١ / ٢٧٢) : (إلياس بن إبراهيم بن داود بن خضر الكردي نزيل دمشق ، الشافعي ، الصوفي ، ولي الله تعالى ، العالم العامل ، الحجة القاطعة ، الورع العابد ، المحقق المدقق ، الخاشع الناسك ، الفقيه الحَبر ، الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة ، المقبل على الله) .

إلىٰ أن قال بعدما عدَّد مشايخه ومَن أخذ العلوم عنه :

(برع في العلوم ولازم الدروس والمطالعة والإفادة والاستفادة بجد واجتهاد ، وآثر لذَّة العلم على اللَّذات المألوفة فلم يتخذ ولداً ولا عقاراً ولا زوجة ، بل تزوَّج في دمشق في ابتداء أمره امرأة ثم طلقها ، **ولم يضع جنبه على الأرض في ليل ولا نهار أزيد من أربعين سنة حتىٰ في ليلة وفاته** ، وكان يؤثر علىٰ نفسه فيلبس الثوب الخشن ويتصدَّق بالجديد الحسن ، وللناس فيه اعتقاد عظيم ، وله كرامات ظاهرة) .

وقال : (درَّس وأفاد ، وانتفع به خلق كثير لا يحصون عدداً من دمشق وغيرها) .

ثمَّ سرد العلامة المرادي بعضاً من أسماء مؤلفاته التي جلها في علوم الآلة . . . إلىٰ أن قال : (وله رسائل كثيرة في علم التصوف ، وأما تعاليقه

وكتاباته فلا يمكن احصاؤها ، **وتردَّد إلى القدس مرَّات للزيارة ماشياً علىٰ قدم التَّجريد** ، **ولزيارة الخليل أيضاً عليه السلام** ، وحجَّ إلىٰ بيت الله الحرام ، وجاور بالمدينة المنورة ، وكان مواظباً علىٰ نوافل العبادات منَ الصيام والصدقة وعيادة المرضىٰ وشهود الجنائز ، وحضور دروس العلم مع قدمه الرَّاسخ في العلوم .

وكان مقبول الشفاعة عند الحكام مع عدم تردُّده إليهم ، وصدعهم بالمواعظ إذا اجتمع بهم وعدم قبول جوائزهم ، حتىٰ إنَّ الوزير رجب باشا كافل دمشق لمَّا كان واليها زار الشيخ مرَّة وكان يعتقده ويحبه فطلب منه الدعاء ، فقال له : والله إنَّ دعائي لا يصل إلى السقف ، وما ينفعك دعائي والمظلومون في حبسك يَدعُون عليك !!

وعرض عليه مئة دينار فأبىٰ أن يقبلها وقال له : رُدَّها على المظلومين الذين تأخذ منهم الجرائم .

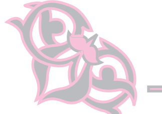
ولم يزل علىٰ طريقته هـٰذه إلىٰ أن ماتِ .

وكانت وفاته في ليلة الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف ، وقد قارب المئة أو جاوزها[1] وهو ممتَّع بحواسه وعقله ، ودُفن بتربة باب الصغير ، وأنشد الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الغني النابلسي في تاريخ وفاته قوله : [من السريع]

قَـدْ كـانَ فـي بَلَـدَتِنَـا كَـامِـلٌ   وهُـو الإمـامُ المُفـرَدُ الـواحِـدُ

---

(١) قول العلامة المرادي أنَّه : (جاوزها) لا يستقيم ؛ لأنَّه نقل في بداية ترجمته أنَّ ولادة الملا إلياس الكردي كانت في سنة (١٠٤٧ هـ) كما أخبر تلميذه الفاضل الفرضي سعدي ابن عبد الرحمـٰن بن حمزة النقيب ، وقال : هـٰكذا رأيته بخطِّ تلميذه المذكور !



شيخُ العُلومِ الياسُ نجمُ الهُدىٰ ومَن هو المَوجُودُ والواجِدُ

مِـن بَعـدِهِ مـاتَ التُّقـىٰ أرِّخـوا ومـاتَ إليـاسُ التَّقِـيْ الـزَّاهِـدُ

انتهىٰ بتصرُّف[1] .

وإنَّما أطلنا بعض الشيء في ترجمة الملا إلياس الكردي . . لمعرفة مَن همُ الرجال الذين تربَّىٰ علىٰ موائدهم العارف البيتماني رضي الله عنه !

وفي هـٰذه الفترة أخذ العارف البيتماني عن مشايخ عظام وأئمة كرام ، علىٰ رأسهم العلامة الأستاذ الشيخ عبدالغني النابلسي رضي الله عنه ، وسنفرد الكلام عن العلاقة بين العارف البيتماني وشيخه الأستاذ النابلسي ؛ إذ هو شيخه في الطريقة ، وعمدته في علوم الحقيقة ، **أمَّا بقية مشايخه** ، **فمنهم** :

١ـ الشيخ **أبو المواهب** بن عبد الباقي **الحنبلي** البعلي الدمشقي ، **مفتي الحنابلة** ، **شيخ القرَّاء والمحدِّثين** ، فريد عصره ، وواحد دهره (١٠٤٤ـ١١٢٦ هـ)[2] .

٢ـ **ومنهم** : الشيخ **أبو العباس** شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم **الغَزِّي** العامري الدمشقي ، **مفتي الشافعيَّة وابن مفتيها** ، **شيخ الإسلام وابن مشايخه** (١٠٧٨ـ١١٤٣ هـ)[3] ، **والشيخ البيتماني قرينه كذلك بالتلمذة على العلامة أبي المواهب الحنبلي** .

---

(١) « سلك الدرر » (١/ ٢٧٢) .

(٢) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (١ / ٦٧) .

(٣) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (١/ ١١٧) .

٣ـ **ومنهم** : الشيخ **المولىٰ** محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمٰن المعروف بـ**العمادي** ، الدمشقي ، **مفتي الحنفيَّة** ، **صدر الشام** ، **علاَّمة العلماء** (١٠٧٥ـ ١١٣٥ هـ)[١] .

٤ـ **ومنهم** : الشيخ عبد الله البقاعي ثم الدمشقي ، الأزهري ، فقيه شافعي ، فاضل ماهر (توفي سنة ١١٢٧ هـ)[٢] .

٥ـ **ومنهم** : **محمد** بن علي بن محمد المعروف بـ**الكاملي** ، الدمشقي ، إمام علاَّمة ، فقيه شافعي، **بركة الشام** (١٠٤٤ ، ١١٣١ هـ)[٣] .

٦ـ **ومنهم** : الشيخ **عثمان** بن محمد بن رجب ، المعروف بـ**الشَّمعة** ، الشافعي ، البعلي الأصل ، الدمشقي ، إمام علاَّمة ، وحِبر مفنن نحرير (قبل ١٠٨٠ ، ١١٢٦ ه)[٤] ، **والشيخ البيتماني قرينه كذلك بالتلمذة على العلامة أبي المواهب الحنبلي** ، **والأستاذ عبد الغني النابلسي** .

٧ـ **ومنهم** : **علي** بن أحمد بن علي الشهير بابن **كزبر** ، الشافعي ، الدمشقي ، إمام علاَّمة ، رحلة (أواخر ١١٠٠ ، ١١٦٥ هـ)[٥] ، **والشيخ البيتماني قرينه كذلك بالتلمذة على العلامة إلياس الكردي** ، **والأستاذ عبدالغني النابلسي** ، **والشيخ محمد الكاملي** ، **وكذلك قرينه**

---

(١) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (٤/ ١٧) .
(٢) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (٣/ ١١٦) .
(٣) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (٤/ ٦٧) .
(٤) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (٣/ ١٦٦) .
(٥) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (٣/ ٢٠٥) .

بأخذ الطريقة القادرية والاستخلاف بها ؛ إذ أنَّ الشيخ ابن كزبر والشيخ البيتماني كلاهما أخذ الطريقة القادرية والخلافة بها منَ الشيخ المحدِّث محمد بن عقيلة المكي ، وقد قام المحدِّث ابن عقيلة باستخلاف الشيخ ابن كزبر بدمشق على الطريقة القادرية .

٨ ـ ومنهم : الشيخ العالم عبد الرحمـٰن بن مصطفىٰ البكفلوني الحلبي ، أخذ عنه الشيخ البيتماني عندما قدِمَ الشيخ البكفلوني دمشق منَ المدينة المنورة بعد مجاورته بها ، فصحبه الشيخ البيتماني ، وأخذ عنه ، وقرأ عليه ، وكتب له ثبَته بخطِّه ، وأجازه بجميع مرويَّاته ، وكانت مدَّة صحبته للشيخ البكفلوني ست سنوات .

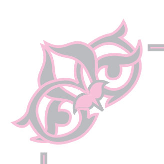
كذا ذكر العلامة المرادي في « سلك الدرر » (٢/ ٥٢) في ترجمة الشيخ البيتماني ، ولم نقف علىٰ ترجمة الشيخ عبد الرحمـٰن البكفلوني !!

٩ ـ ومنهم : الشيخ ياسين بن عبد الرزاق[1] بن شرف الدين الكيلاني ، الحمَوي ، الشافعي ، نزيل دمشق ، الشيخ الصالح ، المسلِّك المربِّي المكمِّل ، شيخ الطريقة القادرية والسجادة الكيلانيَّة في الأقطار الشاميَّة[2] .

---

(١) الشيخ عبد الرزاق الكيلاني أحد مشايخ الأستاذ عبد الغني النابلسي في الطريقة القادرية ، صرَّح بذلك الشيخ البيتماني في رسالته « سلسلة تلقين الذِّكر » ، وقد ذكرنا من قبل أنَّ هـٰذه الرسالة ؛ أصلها إجازة في الطريقة القادرية منَ الشيخ البيتماني لتلميذه الشيخ محمد بن حسن آغا بن مصطفىٰ آغا الشهير بابن المملوك ، كما ذُكِرَ فيها .

(٢) « سلك الدرر » (٤/ ٢٣٨) .




أخذ عنه الشيخ البيتماني الطريقة القادرية .

١٠ـ ومنهم : الشيخ محمد بن أحمد بن سعيد ، المشتهر بـعقيلة ، الحنفي ، المكِّي ، الشيخ الإمام ، العالِم العلامة الأوحَد ، النِّحرير الفهامة المُسند (توفي سنة ١١٥٠ هـ)[١] .

أخذَ عنه الشيخ البيتماني لمَّا قدم دمشق ، وأقام بها مدرِّساً للعلوم ومقيماً لمجالس الذكر علىٰ طريقة السادة القادريَّة ، فقرأ عليه وخدمه مُدَّة إقامته بدمشق ، ولمَّا حجَّ الشيخ البيتماني إلىٰ بيت الله الحرام . . اجتمع بالشيخ ابن عقيلة في داره بمكَّة ، وأجازه بجميع مرويَّاته[٢] .

١١ـ ومنهم : الشيخ يوسف بن عبد الله المملوك ، الشهير بالطَّباخ ، الخلوتي ، الدِّمشقي ، الأستاذ الإمام ، الورع الزاهد ، العابد النَّاصح ، شيخ الطَّريقة الخلوتية بدمشق (توفي سنة ١١٥٩ هـ)[٣] ، وأَخذُ العارف البيتماني عن الشيخ يوسف المملوك . . صرَّح به الشيخ البيتماني نفسه في كتابه الذي ألَّفه في الانتصار لشيخه يوسف المملوك ، وسمَّاه « نتائج السلوك في طريق الشيخ يوسف المملوك »[٤] .

❋ ❋ ❋

---

(١) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (٤/ ٣٠) .

(٢) أخذُ العارف البيتماني عن هـٰؤلاء الأئمة الأعلام المتقدِّم ذكرهم . . ذكره العلامة المرادي في « سلك الدرر » (٢/ ٥٢) في ترجمته للعارف البيتماني .

(٣) انظر ترجمته في « سلك الدرر » (٤/ ٢٤٥) .

(٤) انظر ص (. . .) في الكلام عن مؤلفات العارف البيتماني .




العارف البيتماني والأستاذ النابلسي

ذكر العارف البيتماني في كتابه « السهام المرسلة الرشيقة في قلوب الناهين عن علم الحقيقة » أنَّه تتلمذ علىٰ يد الأستاذ النَّابُلُسي أربعة عشر عاماً، وكتابه هٰذا « السهام المرسلة » كان قد فرغ من تأليفه سنة ١١٤٤ هـ؛ أي : بعد وفاة الأستاذ النَّابُلُسي بما يقرب من عام ؛ إذ إنَّ الأستاذ النَّابُلُسيَّ توفي سنة ١١٤٣ هـ كما هو معلوم ، وهٰذا يعني أنَّه صحب الأستاذ النَّابُلُسي في الأربعة عشر عاماً الأخيرة من عمُره ، يقول الشيخ البيتماني متحدِّثاً عن هٰذه المدَّة[١] :

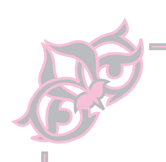
وكان فتوحي في طريق القوم علىٰ يده ، وأجازني في ذلك الإجازة العامَّة والخاصَّة مراراً عديدة ، وأذن لي بالتدريس في طريق القوم في حياته ، وأقرأتُ جماعةً في زمانه في علوم الحقيقة ، وكان يدعو لي بالفتوح في طريق القوم ، ويقول لي : بيِّن ما عندك من علوم الحقيقة ، ومَن عارضك في شيء من ذلك . . فالجواب عَلَيَّ . ولنا معه حالات عظيمة[٢] .

---

(١) جمعنا كلام الشيخ البيتماني عن نفسه في هٰذه المُدَّة من أكثر من كتاب ورسالة له ، ومزجناها في سردٍ واحدٍ ، وسنشير إلىٰ موضع كلِّ كلام .

(٢) « السهام المرسلة الرشيقة في قلوب الناهين عن علم الحقيقة » (ق ١٦٢/أ) .






غاية الطّريق عند العارف البيتماني

وكان مطمح نظري وغاية مقصدي في صحبتي مع هٰؤلاء السادة المذكورين . . إصلاحَ القلب ، والعملَ بالكتاب والسنة ، والأدبَ مع الله تعالىٰ في معاملته ومع الخلق في معاملاتهم ، والزُّهدَ في الدُّنيا عن حبها وحب زينتها ومناصبها ، والصمتَ عن التشدُّق في الكلام ، وتركَ المجادلات مع أهل الجدال .

وقد صفا لي وقتي مع ربي تعالىٰ ، ونلتُ منه مقصدي ولله الحمد ، فعلى الدنيا وأهلها السلام ؛ ولهٰذا أُثبِتَ لي مقامُ الفقر إلى الله تعالىٰ ، وإرشادُ الإخوان في طريق الصالحين من أهل الله المطابقُ للكتاب والسنة والإجماع ، **وقد كَتبَ لي ثلاثة وأربعون شيخاً . . الإجازةَ في طريق السادة القادرية** ، ووضعوا أختامهم لي في تربية المريدين علىٰ مشرب الشيخ عبد القادر الكيلاني قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه ، وقد صحَّ عنه رضي الله عنه أنَّه دخل في طريقه من باب الفقر إلى الله ، وأنَّه قال : [من الكامل]

أَصبَحْتُ لا أَمَلاً ولا أُمنِيَّةً أَرجُو وَلا مَوعُودَةً أَتَرَقَّبُ

وهو مقام التفويض إلى الله والعجز عن الدعاوىٰ ، ومن ثَم كان طريقنا : الفقر إلى الله تعالىٰ ، وقطع الطمع ممَّا في أيدي الخلق ، وعبادة الله تعالىٰ ومراقبتُه ، والحب في الله ، وترك مخالفة أمر الله[1] .

---

(١) « السهام المرسلة الرشيقة في قلوب الناهين عن علم الحقيقة » (ق ١٦٢/ ب) .




من بشائر الأستاذ النابلسي لتلميذه العارف البيتماني

ولقد رأيتُ في المنام مراراً عديدة في أيام خدمتي لشيخي وإمامي قطب الزمان وعلاَّمة الأوان سيدي الشيخ عبد الغني النابُلُسي ـ قدَّس الله سره ونوَّر ضريحه ، وأعاد علينا من بركاته وبركات علومه ـ أنَّني أرعىٰ بقراً في أرضٍ مباحة ، وفيها زروعٌ مملوكة للنَّاس ، وأنا أَردُدُ البقر عن الزروع المملوكة إلى الكلأ المباح ، وآمُرهم بذكر الله تعالىٰ ، والجميعُ يمتثلون أمري ، ويذكرونَ الله معي ، إلا ثوراً واحداً دائماً كان يخالفني ولا يطيعني فيما آمره به ، ولا انتهىٰ عمَّا أنهاه عنه ، وكنتُ كلَّما رأيت هـٰذا المنام . . أقصُّه على الشَّيخ ، فيفسِّره لي بقولِه : **سيصير لك مقام في طريقنا** ، **وتدعو الناس فيه إلى الله تعالىٰ** فيطيعونك إلاَّ رجلاً واحداً ؛ فإنَّه ينكر عليك ويعارضك في أمرك ، وينصرك الله عليه . فلعلَّ هـٰذا المعترض علينا هو ذلك الثور المشار إليه[1] .

علاقته الروحيّة مع شيخه واسترشاده منه بعد انتقاله

ذهبت إلىٰ عند شيخي وإمامي وبركتي الأستاذ العظيم ، والمرشد المولى الكريم ، قطب هـٰذا الزمان ، وعلامة هـٰذا الأوان ، صاحب القلب القدسي ، والسِّرِّ الإنسي ، سيدي الشيخ عبد الغني ابن الشيخ

---

(١) « السهام المرسلة الرشيقة في قلوب الناهين عن علم الحقيقة » (ق ١٨٤/أ ، ١٨٤/ب) ، وقد ألَّفها العارف البيتماني للرَّدِّ علىٰ هـٰذا المعترض الذي تكرَّرت رؤيته له في المنام بصورة الثور المذكور .

إسماعيل النابُلُسي ، قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه ، فجلستُ عند قبره تحت أقدامه ، وذكرت له ما وقع من المعترض علَيَّ من باب الخطاب الرُّوحاني . . فأجابني بجواب أنيس ، مؤسَّسٍ علىٰ أحسن تأسيس ، قال : دُم علىٰ ما أنت عليه ولا تخشىٰ في الله لومة لائمٍ من صائحٍ ولا تلبيس ، وأنِ اكتُب رسالةً في ذلك ، وأشار إليَّ بما هنالك .

شيخه القطب النّابلسي . . الباب الذي نال منه الفتح الأكبر

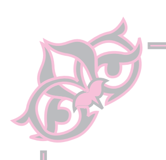
وقد تفضل الله علينا بذلك وأفهمنا صوابه وألهمنا تفصيله ، وعرَّفنا جمعه وفرقانه ، وكشف لنا أسراره ، وأشرق علينا أنواره . . فنلنا به النعيم المقيم ، والسِّرَّ المكتتمَ العظيم ، فعرَفناه ظاهراً وباطناً ، وشهدناه أوَّلاً وآخراً .

وذلك من فضل الله علينا بواسطة مولانا مفخر الأولياء والأقطاب ، وزبدة المقربين والأنجاب ، عين أهل السُّنة والكتاب ، العالم الفقيه ، والعارف النبيه ، صاحب الأسرار القدسية ، والأخلاق المحمدية ، والمعارف الإلـٰهية .

فإنَّ هـٰذا الأستاذ العظيم الشأن . . قد جعله الله تعالىٰ باباً ، ففتحتُه بمفتاح هِمَّتي ، فأخرج الله تعالىٰ منه علماً من فوق طور العقول لم ينله شيوخُ زماني ولا مَن تقدَّمني إليه ، وشربتُ من صافي بحره شربةً ارتوىٰ بها فؤادي من ظلماء غفلاتي ، فهو عيني في مشربي ، وقرَّةُ عيني في مشهدي[1] . اهـ

---

(١) « كشف الرحمـٰن عن حقيقة الأكوان » (ق ٣٩/ ب ، ٤٠/ أ) .




سنده العرفاني الرّوحاني

وقد أخذ هـٰذا الأستاذ [الشيخ عبد الغني النابُلُسي رضي الله عنه] علمَه من حقيقةِ روحِ الشيخ محيي الدين ، فهو شمَّاسه وأبوه في عالَم الأرواح ، كما قال رضي الله عنه في قصيدة له : [من الوافر]

مُعَتَّقَـةً شَـرِبْنَـاهـا فَفُـزْنـا ... بهـا مِـنْ عَهْـدِ آدمَ عَـن أَبِيْنَـا

أبونا الغَوثُ مُحيي الدِّين هـٰذا ... وَجَـدْنَـاهُ بِـواقِعَـةٍ رَأَيْنَـا

وأنا أخذتُ هـٰذا العلمَ الحقيقيَّ عن هـٰذا الأستاذ المذكور ـ وهو أبو الفيض الشيخ عبد الغني ابن النابُلُسي قدَّس الله سره ـ مشافهةً في عالَم الأشباح ، فهو أبي وشمَّاسي ، وإمامي في هـٰذا المقام القُدسي والسِّرِّ الأُنسي(١) . اهـ

بعض أسانيده في الخرقة الظاهرة

وقد اتصلَتْ يدي بيده في البيعة علىٰ طريق السادة القادرية ، أجرى الله تعالىٰ من عين قلبه ساقيةً من النور الأقدَس إلىٰ عين قلبي ، فنلتُ به التوفيقَ الأنفس في ظاهري ولُبِّي ، وأدركَتني منَ الله الألطاف الخفيَّة بالثبات على السُّنة المحمدية ، والاتصاف بالأخلاق الحَسنة المرضيَّة ، ولهـٰذا قلتُ منَ النظم : [من الوافر]

تَـأَمَّـلْ فـي العَـوالِـمِ يـا وَلِيِّـيْ ... لِتَفْهَـمَ نُكْتَـةَ السِّـرِّ الخَفِـيِّ

(١) « تنبيه الأنام في شرح أبيات المنام » (ق ٢١/ب ، ٢٢/أ) .



وحَقِّقْ في الأنامِ بِعَيْنِ حَقٍّ تَجِدْهُ فِعْلَ مَولاكَ الجَلِيِّ
أنا حَقَّقْتُ عِلْماً في الحَقيقه رَفِيْعَ الجاهِ عن فَهْمِ الذَّكِيِّ
وجادَ الرَّبُّ لي بالفضلِ حقّاً بهٰذا القُطْبِ في الزَّمَنِ الهَنِيِّ
إمَامٌ في الحَقيقَةِ قدْ تَسَمَّىٰ بِنَابُلُسِيِّ عَبْدٌ لِلْغَنِيِّ
فَنَشْكُرُ فَضْلَ خالِقِنَا عَلَيْنَا لِما أعْطَىٰ مِنَ العِلْمِ العَلِيِّ
فأعطاني عُلُوماً مِن لَدُنْهُ بواسِطَةِ الوَلِيْ الحِبْرِ النَّجِيِّ

وممَّا قال أيضاً رضي الله عنه في شيخه القطب عبد الغني النابُلُسي رضي الله عنه : [من الوافر]

ومِنْ عَبْدِ الغَنِيِّ وَرِثْتُ عِلْماً وقَدْمَاً رافِعاً لِعُلَى القُصُورِ
فَأشْرَقَتِ الشُّموسُ عَلَيَّ حَتَّى غَدَتْ ناري تُكَلِّمُنِيْ بِطُوْرِيْ

وقلت أيضاً : [من الوافر]

ورثتُ العِلمَ عَنْ شَيْخِيْ يَقِيْناً فَزَالَ الغَينُ وانكَشَفَ الغِطَاءُ
عُلُومُ اللهِ ظَهْرَتْ[1] مِنْ فُؤادِي فَنِلتُ الفَضلَ وَارتَفَعَ العَنَاءُ
حَبِيْبِيْ قَدْ ظَهَرْ لِيْ في مَجَالِيْ فَشِمتُ الحقَّ وانْسَحَقَ السِّواءُ
وشَمْسُ الذَّاتِ لِيْ طَلَعَتْ عَيَاناً على الأكوانِ فَامتَنَعَ العَمَاءُ

ثم إنَّ العارف البيتماني حيثما أطلق كلمة (شيخنا) في كتبه المؤلَّفة في العلم الإلـٰهي . . فالمراد به الأستاذ عبد الغني النابُلُسي ، قال ذلك في مقدمة كتابه « الفتوحات الرَّبانيَّة في شرح التَّدبيرات الإلـٰهيَّة » .

(١) (ظهرت) هٰكذا هي بخط المؤلِّف ، وتسكين الهاء لضرورة الوزن .




مؤلفاته وإرثه العلمي

أكثرَ العارف البيتماني منَ التَّأليف ، وتراوحت مؤلَّفاته بين الكُتُب الطِّوال والرَّسائل القصار ، وأغلبها في علم الحقيقة الذي اشتُهر به وكان فارس مَيدانه(١) ، كما شهد له بذلك أستاذُه العارف النَّابُلُسي رضي الله عنهما ، وكثيرٌ منها ألَّفها في حياة شيخه الأستاذ عبد الغني النَّابُلُسي كما وقفنا عليه .

فمن مؤلَّفاته :

١ـ « الفوائد المستجادات في ملخص علوم الفتوحات »(٢) .

٢ـ « الفتوحات الرَّبانيَّة في شرح التَّدبيرات الإلـٰهيَّة » ، شرح فيه كتاب الشيخ الأكبر « التدبيرات الإلـٰهيَّة في إصلاح المملكة الإنسانيَّة »(٣) .

---

(١) قال العلاَّمة المرادي في « سلك الدرر » (٢/٥٢) : اشتهر بالتصوف وعلم الحقيقة ، ودرَّس في زاويته تجاه الشيخ محمد الحميري رضي الله عنه في مَيدان الحصا ، وصار يقيم الذكر في مدرسة الوزير إسماعيل باشا العظم التي بناها في سوق الخياطين بالقرب منَ المحكمة ، وألَّف وصنَّف .

(٢) كذا هو عنوان الكتاب كما وقفنا عليه بخطِّ المؤلِّف ، وسمَّاه العلامة المرادي في « سلك الدُّرر » (٢/٥٣) : (الفوائد المستجادات **الشرعية** وملخص علوم الفتوحات **المكية**) ، وهو كتابٌ عظيمٌ في بابه ، يُعدُّ المختصر الثاني « للفتوحات المكيَّة » بعد اختصار العارف الشيخ عبدالوهاب الشعراني المسمَّىٰ « لواقح الأنوار القدسية المنتقاة منَ الفتوحات المكية » ، وقد زاد عليه من معارفه وفيوضاته النُّورانيَّة .

(٣) وأكثرُ شرحِه من إملاء الأستاذ عبد الغني النابُلُسي رضي الله عنه كما صرَّح الشيخ البيتماني في آخر الشرح ؛ إذ كان قد قرأ كتاب « التدبيرات الإلـٰهية » علىٰ أستاذه النابلسي ؛ فوضع هـٰذا الشرح عليه . ويُعَدُّ متن كتاب « التدبيرات الإلـٰهيَّة في إصلاح=




٣ـ « الهداية والتوفيق في آداب سلوك الطريق » .

٤ـ « الشراب المَري في قصيدة أبي الحسن الشُّشتري » .

٥ـ « السهام المرسلة الرشيقة في قلوب الناهين عن علم الحقيقة » .

٦ـ « كشف الأسرار في العلوم المستفادة من خيال الإزار » .

٧ـ « الجواب المطلوب في شرح موال العارف أيوب » .

٨ ـ « المواعظ النبوية في الحث على أذكار السَّادة الخلوتيَّة » .

٩ـ « زبدة الفضائل في شرح ورد الوسائل » .

١٠ـ « مشروعية جهر الصوفية بالذكر » .

١١ـ « كشف الالتباس عن مسألة السماع بين الناس » .

١٢ـ « معراج المريدين إلى حقيقة عين اليقين » .

١٣ـ « رحلة السالكين إلى باب رب العالمين » .

١٤ـ « مختصر الجامع الصغير » ، وهو اختصار وشرح لكتاب « الجامع الصغير » للحافظ السيوطي رضي الله عنه .

١٥ـ « تنبيه الأنام في شرح أبيات المنام » .

= المملكة الإنسانيَّة » الذي وضع عليه العارف البيتماني شرحه « الفتوحات الربانيَّة » . . من أصحِّ النُّسخ ؛ فقد ذكر العارف البيتماني أنَّ شيخه الأستاذ النَّابُلُسي عندما أقرأ كتاب « التدبيرات الإلـٰهيَّة » لطلاَّبه قام بجمع نسخ الكتاب التي توافرت لديه في زمنه ، وقارن بينها مع تلامذته ، حتى خرج الأستاذ النَّابُلُسي بنسخةٍ ارتضاها لنفسه ، وهي التي عمل العارف البيتماني شرحه عليها . وقد طبع الكتاب في دار الكتب العلميَّة ، بتحقيق سقيم ، ونصٍّ غير مستقيم !






١٦ـ « رسالة في مصطلح الصوفية » .

١٧ـ « كشف الرحمـٰن عن حقائق الأكوان » .

١٨ـ « نتائج السلوك في طريق الشيخ يوسف المملوك » .

١٩ـ « رسالة تلقين الذكر » .

٢٠ـ « حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدين » ، وهي رسالتنا هـٰذه .

٢١ـ « الرسالة العظيمة » المسماة بـ « ذخيرة الإسلام » .

٢٢ـ « فيض الخلاق العالِم علىٰ قلب عبده المؤمن السالِم » .

٢٣ـ « عروس الجلوة في فضل اعتكاف الخلوة » .

٢٤ـ « المواعظ النَّبويَّة في الحثِّ علىٰ أذكار السادة الصوفيَّة » .

٢٥ـ « تنبيه القلوب في شرح ذخيرة الشيخ أيوب » .

٢٦ـ « فائدة عظيمة في علم الحقائق » .

٢٧ـ « القول الصحيح الواضح في رَدِّ الكذب عن العارف الناصح » .

٢٨ـ « نبذة من كلام العارفين المحققين » .

٢٩ـ « مرويات صوفية » .

٣٠ـ « أربعون حديثاً في فضائل سورة الإخلاص » .

٣١ـ « نبذة الصلاح في صحة عقد النِّكاح » .

٣٢ـ « رسالة في وجود الله تعالىٰ » .

٣٣ـ « ثَبَت البيتماني » .




٣٤ـ « المشرب الهني القدسي في كرامات الشيخ عبد الغني النابلسي » .

٣٥ـ « كشف الحقائق الروحانية في شرح التنزلات الموصلية » .

٣٦ـ « فتح الملك المجيد في مراتب كلمة التوحيد » .

٣٧ـ « معراج المريدين إلىٰ حضرة رب العالمين » .

٣٨ـ « إرشاد الخليقة إلىٰ أصول علم الحقيقة » .

٣٩ـ « كشف أستار التوحيد للمريد عن وجه جلالات القرآن المجيد » .

٤٠ـ « فتح الملك الجواد في نظم الحقائق ومدح الأسياد » ديوان شعر ، قال العلامة المرادي في « سلك الدرر » (٢/ ٥٣) : (وقد اطلعتُ عليه . . فرأيته ديواناً كبيراً ، والأغلب فيه ؛ بل كله علىٰ لسان القوم ، وقد ذكر به أشياء عام فيها أيَّ عوم !) .

وغالب هٰذه الكتب والرسائل قد وقفنا علىٰ مخطوطاتها بفضل الله تعالىٰ ، وستخرج بتحقيقنا إن شاء الله تعالىٰ ضمن سلسلة « **مؤلَّفات العارف البيتماني** » ، نسألُ الله تعالى العناية والتوفيق والسداد ، آمين .

شعره رضي الله عنه

شعره رضي الله عنه شعرٌ منسابٌ في القلب رقيق ، يعبِّر به عن أحواله وأحوال أهل الطريق بحرفٍ دقيق .

فمن شعره قوله : [من الطويل]

لَنَا العِلْمُ والتَّحْقِيْقُ والمَوْرِدُ الأصْفَى ... وأرْواحُنَا بالأَمْرِ والأَمْرُ لا يَخْفَى
ونَحْنُ على العَهْدِ القَديْمِ ولَمْ نَزَلْ ... ومَنْ يَبْتَغِي التَّبْدِيْلَ لا يَأْمَنِ الحتْفَا
تَجَلَّى عَلَيْنَا اللهُ بالوَصْفِ ظاهِراً ... وبالحِلْمِ والإحسانِ جادَ لَنَا كَشْفَا
سَلَكْنَا بِهِ أَوْجَ العُلَى وقُلُوبُنَا ... على الصِّدْقِ والإيْمَانِ لَمْ تألَفِ الخُلْفَا
وفِيْهِ تَرَكْنا المَزْجَ مِنْ كُلِّ مَازِجٍ ... فَطَابَ شَرابُ الوَصْلِ منهُ لَنَا صِرْفَا
ومِنْهُ رَأَيْنَا الوَجْهَ فِينا بِنُورِهِ ... ولَوْلاهُ ما كُنَّا وجوداً ولا وَصْفَا
ولولاهُ ما بِعْنَا النُّفوسَ بِحُبِّهِ ... ولولاهُ ما نِلْنَا المسَرَّةَ والأُلْفَا
سَقَانا مِنَ التَّحْقِيْقِ عَذْباً مُقَدَّساً ... لَدَيْهِ فُؤادُ الصَّبِّ يَشْرَبُهُ لُطْفَا
هُو العِلْمُ عِلْمُ الدِّيْنِ دِيْنِ مُحَمَّدٍ ... هو النُّورُ نُوْرُ اللهِ قَدْ جَلَّ أنْ يُطْفَى
وما عِنْدَنَا شَكٌّ بِعِلْمٍ لِظاهِرٍ ... هو الحُكْمُ بالمنصوصِ فالحُكْمُ لا يُنْفَى
ولٰكِنْ لَدَيْنَا السِّرَّ فيهِ قلوبُنَا ... تطيرُ مِنَ الأكوانِ للحَضْرَةِ الزُّلْفَى
ويُعْمِلُ فيها الرَّاحُ معنَى سُرُوْرِنَا ... فَنَسْكَرُ حُبّاً بالحَبيبِ إذا وَفَّى
فَتَعْذُلُنا الجُهَّالُ مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ ... بَمَوْرِدِنَا الوافِيْ ومَشْرَبِنا الأصْفَى
شَرِبْنَا وعَرْبَدْنَا وطِبْنَا بِحُبِّنا ... ولَمْ نَمْنَحِ الُّلوَّامَ قَوْلاً ولا طَرْفَا
وقَدْ جَاءَنَا المختارُ يَهْدِيْ لِدِيْنِه ... عَلى السُّنَّةِ البَيْضَاءِ والسَّنَنِ الأَوْفَى
دَعانا لِأَمْرٍ قَدْ أَجَبْنَا لِأَمْرِهِ ... بِطَوْعٍ وكانَ الأَمْرُ مِنْهُ لَنَا عَطْفَا

وله من قصيدة : [من الكامل]

خَمْرُ المحَبَّةِ في القُلُوبِ تَرَوَّقا ... قَدْ حازَ فيهِ الصَّبُّ أنواعَ التُّقَى
فاحَتْ رَوائِحُهُ على طُلاَّبِهِ ... فَغَدا المُحِبُّ لَهُ يَزِيدُ تَعَشُّقا

وفــؤادُ أهْــلِ اللهِ فيــهِ مُعَــرْبِــدٌ	لٰكنْ عَلَى التَّقْوَىٰ إلىٰ يَوْمِ اللِّقا
قَدْ قَالَ رَبِّيْ فِيْ نُصُوصِ كِتَابِهِ	فافْهَمْ كَلاَمِيْ لا وَجَدْتُكَ أَحْمَقَا
كُلُّ الذي في الخَلْقِ فانٍ هَالِكٌ	إلاَّ الـذيْ بـالـوَجْـهِ دَوْمـاً لِلبَقـا
أعني بِوصْفِ الوَجْهِ وجَهَ إلٰهِنَا	فـاجْمَـعْ بِـهِ طَـوْرَاً وطَـوْرَاً فَـرِّقَـا
عِلْمُ الحَقائِقِ والدَّقائِقِ قَدْ غَدَا	يَسْمُـو بـأهْـلِ اللهِ دَرْجَـاتِ الـرُّقَـا
والعـارِفـونَ لَهُـمْ مَقَـاصِـدُ بَيْنَهُـمْ	يَبْغُـوْنَهَـا غَـرْبَـاً كَـذاكَ ومَشْـرِقَـا
فـاحـذَرْ مِـنَ الـزَّلاتِ فيهـا إنَّهـا	حِكَمٌ تُفِيْدُ إلى الجَهُولِ تَزَنْدُقَا
جَمْـعٌ وفَـرْقٌ يـا أُخَـيَّ فَكُـنْ بِهَـا	فـي الكَـوْنِ عَبْـدَاً لـلإلٰـهِ مُـوَفَّقَـا
واسلُكْ على الأَمْرَيْنِ في تَوْحِيْدِهِ	وامْـلأْ فُـؤَادَكَ بـالكَمَـالِ تَحَقُّقَـا

وشعره كثير رضي الله عنه .

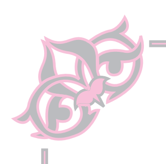
وفاته

وكانت وفاته في ليلة الخميس بين العشاءين ، سابع جمادى الأولىٰ ، سنة خمس وسبعين ومئة وألف ، ودُفن بزاويته بمَيدان الحصا رحمه الله تعالىٰ(١) .

* * *

(١) « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » (٢/ ٥٢) .






وصف النسخ الخطية المعتمدة في تحقيق الرّسالة

بعد البحث الكثير في فهارس المخطوطات لم نقف إلا علىٰ نسختين خطِّيتين لرسالة «حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدِّين» ، وهي :

النسخة الأولى

وهي : نسخة مكتبة جامعة برنستون الأمريكية ، ذات الرقم (٢٢٨١)[١] مجموعة يهودا[٢] ، وهي نسخة تامَّة .

جاءت هـٰذه النسخة في (١٤) ورقة ، وخطها نسخي جميل ، لم يتبيَّن لنا اسم ناسخها ، ولعلَّنا لو وقفنا على المجموع كاملاً لعرفنا اسمه ، ولـٰكنَّا لم نقف عليه ، ، وجاء في خاتمتها : (وقد وقع الفراغ من نسخها نهار السبت ، خلا خمسة عشر يوماً من رجب الفرد ، سنة ١١٧٤هـ) ؛ أي : في حياة المؤلِّف ؛ إذ كانت وفاة المؤلف في السابع من جمادى الأولىٰ سنة (١١٧٥ هـ) .

رُمزَ لها بـ(أ) .

---

(١) تفضَّل متكرِّماً بصورة هـٰذه النسخة السيد محمد جلال حمَّامي حفظه الله تعالىٰ ، وجزاه خيراً عن العلم وأهله .

(٢) وهي من مصورات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ، برقم (٢٣٨٣٨٥) .






النسخة الثانية

وهي : نسخة جامعة الملك سعود (**جامعة الرياض**) ، ضمن مجموع ، ذات الرقم (٦٥٢٤) ، وهي نسخة تامَّة أيضاً .

جاءت هـٰذه النسخة في (١٣) ورقة ، خطها نسخي معتاد ، وهـٰذه النسخة علىٰ أغلب الظَّن منقولة من نسخة برنستون السابقة ؛ لأنَّها في مجموعٍ مبدوءٍ برسالة « المسلك الجلي في حكم شطح الولي » لسيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه ، وكذا المجموع الذي في برنستون بدأ برسالة « المسلك الجلي » ، وهي أقل من سابقتها بورقة واحدة ؛ لأنَّ عنوان الرسالة أُفرد بورقة مستقلَّة في النُّسخة الأولىٰ .

فُرِغَ من نسخها نهار السبتّ ، التاسع من شهر محرَّم الحرام سنة (١٣١١ هـ) ، **وناسخها** : هو صالح أسعد الحمصي[١] .

رُمِزَ لها بـ(ب) .

❊ ❊ ❊

(١) كتب اسم النَّاسخ في البطاقة التَّعريفية لوصف المخطوط .






منهج العمل في الرسالة

ذكرنا في مقدَّمتنا لهـٰذه الرسالة دواعي النَّشر لها ، وأطلنا النَّفَس في ذلك لخطورة هـٰذا المقام ، وتبيين المشكل منَ الكلام ؛ إظهاراً لما رقَمَه القوم مِنْ مرام .

وقُمنا بترجمة المؤلِّف رضي الله عنه ترجمةً موسَّعة ؛ لكونها من أوائل ما ننشره مِن سلسلة علومه الجليلة ومعارفه الرَّفيعة النَّبيلة ، لم نقتصر فيها علىٰ ما ذكره أصحاب التواريخ والتراجم ؛ بل رجعنا إلىٰ كتبه ورسائله المخطوطة ؛ فاستنطقنا ما بين السطور ، فكانت ترجمتُه نوراً علىٰ نور ، فدونك هـٰذه الترجمة الوفيَّة ؛ مرجعاً جامعاً لمتفرِّقات شؤون هـٰذا الإمام ، فهي ترجمة غير مسبوقة في كتب التراجم والأعلام .

وقمنا بما يمليه منهج التحقيق العلمي ؛ من جمعٍ للنسخ المخطوطة ، ومقابلتها ، وتدقيقها ، وتخريج ما فيها من آيات شريفة ، وأحاديث منيفة ، واقتباسات لطيفة ؛ فأرجعنا كلَّ فرعٍ لأصله .

وأهمُّ ما في عملنا هـٰذا تدقيق عقيدة الشيخ الأكبر (**عقيدة العوامِّ**) التي نقلها العارف البيتماني في رسالته هـٰذه مع النسخة القونويَّة التي هي بخطِّ يد الشيخ الأكبر رضي الله عنه .

وسبب ذلك أنَّ العقيدة التي أثبتها العارف البيتماني مأخوذة منَ الكتبة

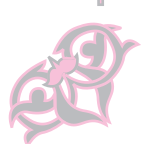


الأولىٰ للفتوحات المكية ـ وهٰذا سنبيِّنه في بحثٍ مفردٍ إن شاء الله تعالى ـ بينما النسخة القونويَّة هي الكتبة الثانية للفتوحات المكيَّة ، وبينهما خلاف صرَّح به الشيخ الأكبر في الكتبة الثانية ؛ فقال في آخرها بخطِّه : (هٰذه النسخة سبعة وثلاثون مجلداً ، **وفيها زيادات على النسخة الأولىٰ**) .

فالذي بين يدي القارئ الكريم . . أدقُّ نسخة لعقيدة الشيخ الأكبر رضي الله عنه .

❊ ❊ ❊








صُوَر من المخطوطات المستعان بها










راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ب) وبها يظهر العنوان



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



ورقة من الفتوحات المكّيّة بخط الشيخ الأكبر،
وفيها بداية عقيدة العوام

ورقة من الفتوحات المكّيّة بخط الشيخ الأكبر،
وفيها نهاية عقيدة العوام







أنموذج من خط الشيخ البيتماني

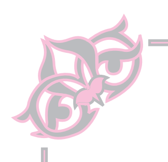
* * *




النص المحقق






مقدّمة المؤلّف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي دعا عباده المؤمنين إلى الإيمان. . فلبَّوهُ إلىٰ ذلك بالسرِّ والإعلان، وعرَّفهم بأحكام شريعته وكشفَ لهم عن مقام الإحسان. . فرأوه أنَّه الظَّاهر وتحققوا أنَّه الباطن؛ فعملوا بأحكام شريعته في ظواهرهم، وشهدوا إطلاقَ توحيده في بواطنِهم. . وذلك من كمال الإيمان، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦]. فتطاولت إلىٰ ذلك رِقابُ الرِّجال، وشَخَصَت إليه أبصارُهم، وابتهجت به قلوبُهم. . وذلك مِنْ فضل الله تعالىٰ عليهم والامتنان.

وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله وحده وأشهدُ أنَّ سيدنا محمداً رسوله وعبدُه، جاءنا بالحقِّ فبلَّغ الإنسَ والجانَّ، ورضوان الله تبارك وتعالىٰ عن الآل الطَّاهرين، والصَّحابة الأكرمين، وعنِ العلماء العاملين الذين بيَّنوا لنا أمورَ الدِّين، والتابعين لهم إلىٰ يوم الكشف والبيان.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير حسين ابن الشيخ طعمه البيتماني ثم الدِّمشقي، تلميذ الغوث المقرَّب والمحقِّق المؤدِّب، الوارثِ المحمَّديِّ والفردِ الأحمديِّ، صاحبِ المشربِ القدسيِّ والمشهدِ الأُنسيِّ، الشيخ عبد الغني ابن الشيخ اسماعيل النَّابُلُسي، رضي الله عنه وأمدَّنا منه: هـٰذه

رسالة مختصرة ، نذكر فيها ما يتعيَّنُ على العبد مِنَ الإيمان بالله تعالىٰ بطريق الإجمال في ظاهر الأمر ، كما هو عليه أهلُ هـٰذه الطَّريقة مِنَ المحقِّقين أهلُ الصَّلاحِ واليقينِ والمعرفةِ والدِّينِ ، وهي عقيدةُ الشيخِ الفاضلِ والواصلِ الكاملِ ، صاحبِ الرُّسوخ والتَّحقيق والدِّيانة والتَّوفيق ، خُلاصةِ أهل اليقين وعين أهل القرب والتَّمكين ، مولانا الشيخِ الأكبر محيي الدِّين ابن العربي المغربي الطَّائي الحاتمي ، قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه ؛ فإنَّه قد ذكر هـٰذه العقيدةَ في مقدِّمة كتابه الجامع لفنون المعاني والكمالات الإلـٰهيَّة « **الفتوحات المكيَّة** » ، **فاعلم ذلك يا أخي وتمسَّك بها ؛ فإنَّها السَّعادة العظمىٰ في الدَّارين ، ومَن تمسَّك بها . . فقد نجا** .

وهي مشتملة علىٰ أنواع التَّوحيد والمعارف ، وإقامة الحدود ، وعلى الحضور والشُّهود ؛ إذ هي عقيدةٌ جامعةٌ للإيمان في الدُّنيا والآخرة .

وقد أَشهَدَ الشيخُ قدَّس الله سرَّه علىٰ نفسِه أنَّه علىٰ تلك العقيدة ، كما ستراها قريباً إن شاء الله تعالىٰ . . فشهدنا له بذلك ، وأنا قد أَشهَدتُ أيضاً علىٰ نفسي أنِّي علىٰ هـٰذه العقيدة مِنْ غير تبديلٍ ولا تغييرٍ ، وقد قرأتُ هـٰذه العقيدةَ في مجلسِ شيخِنا الشيخ عبد الغني المذكور حفظه الله تعالىٰ ، وكان مجلساً حافلاً . . فظهرتْ منه هيبةٌ عظيمةٌ اقشعرَّت منها الجلود ، واطمأنَّت بها القلوب ، وقد أَشهَدتُ شيخيَ المذكور في ذلك الوقت علىٰ نفسي بأنِّي علىٰ هـٰذه العقيدة ظاهراً وباطناً . . فشَهِدَ لي ولله الحمد بذلك ، وإنِّي لأرجو ممَّن يقِفُ علىٰ هـٰذه العقيدة منَ الإخوان . . أن يشهَدَ لي بها في الآخرة عند الله تعالىٰ ، وإنِّي أُطَالِبُه يومئذٍ بهـٰذه الشَّهادة[1] ، والله خيرٌ حافظاً وهو

(١) ونحن نشهد بهـٰذه العقيدة للمؤلِّف ، ولشيخه سيدنا عبد الغني النَّابُلُسي ، وللشيخ =



أرحم الراحمين ، وسمَّيتها :

« حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الأكبر محيي الدّين »

وهي قوله قدَّس الله سرَّه في مقدِّمة « الفتوحات المكيَّة »[1] ، بعد تمام كلامٍ نفيسٍ ، مؤسَّسٍ على أقوم تأسيسٍ ، في العقائد الإلـٰهيَّة ، والأعمال الشَّرعية :

[الشهادة الأولى]

فيا إخوانِي ويا أَحبَابي[2] رَضِيَ اللهُ عَنَّا وعَنكُم[3] ، أَشهَدَكُم عَبدٌ ضَعِيفٌ مِسكِينٌ فَقِيرٌ إلى اللهِ تَعَالىٰ فِي كُلِّ لَحظَةٍ وطَرْفَةٍ[4] خَتَمَ اللهُ لَهُ ولَكُم بِالحُسنَىٰ[5] أشهدَكُمْ علىٰ نفْسِهِ بعدَ أنْ أشهدَ اللهَ تعالىٰ وملائكتَه ومَنْ حضرَ منَ الرُّوحانيِّينَ أو سمعَ[6] ، أنَّهُ شَهِدَ[7] قولاً وعَقدَاً :

= الأكبر ، وللسَّادة الصُّوفية أجمعين رضي الله عنهم ، وأمدَّنا بأمدادهم ، آمين .

(١) انظر « الفتوحات المكيَّة » (١/ ٣٦ إلىٰ ص ٣٨) طبعة دار الكتب العربية الكبرى (الميمنيَّة) سنة ١٣٢٩هـ ، وطبعة محقِّق تراث الشيخ الأكبر الدكتور عثمان يحيىٰ رحمه الله تعالىٰ ، (١/ ١٦٢ إلىٰ ص ١٧٣) .

(٢) في نسخة قونية : (فيا أخوتي ويا أحبائي) بدل (فيا إخوانِي ويا أَحبَابي) .

(٣) في نسخة قونية : (عنكم) بدل (عَنَّا وعَنكُم) .

(٤) في نسخة قونية : بعد قوله : (في كل لحظة وطرفة) **زيادة** (وهو مؤلف هـٰذا الكتاب ومنشؤه) ، وقد كتبها الدكتور عثمان يحيىٰ رحمه الله تعالىٰ : (ومنشئه) وتابعه الأستاذ عبد العزيز المنصوب علىٰ هـٰذا الخطأ في طبعته الجديدة !

(٥) قوله : (خَتَمَ اللهُ لَهُ ولَكُم بِالحُسنَىٰ) غير موجودة في نسخة قونية .

(٦) في نسخة قونية : (ومن حضره من المؤمنين وسمعه) بدل (ومن حضر من الرُّوحانيين أو سمع) .

(٧) في نسخة قونية : (يشهد) بدل (شهد) .



أنَّ اللهَ تعالىٰ إلـهٌ واحدٌ لا ثانيَ لهُ في ألوهيَّتِهِ[١] ، منزَّهٌ عنِ الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ ، مالكٌ لا شريكَ لهُ ، مَلِكٌ لا وزيرَ لهُ ، صانعٌ لا مدبِّرَ معَهُ ، موجودٌ بذاتِهِ مِنْ غيرِ افتقارٍ إلىٰ مُوجِدٍ يُوجِدُهُ ؛ بَلْ كلُّ مَوجُودٍ سِواهُ . . مفتقرٌ إليهِ في وجُودِهِ ؛ فالعَالَمُ كُلُّهُ موجودٌ بهِ ، وهو موجودٌ بنفْسِهِ[٢] ، لا افتتاحَ لوجودِهِ ، ولا نهايةَ لبقائهِ ؛ بَلْ هو وجودٌ مطلقٌ مستمرٌّ[٣] ، قائمٌ بنفْسِهِ ، ليس بجوهرٍ مُتحيِّزٍ فيُقدَّرَ لهُ المكانُ ، ولا بعَرَضٍ فيستحيلَ عليه البقاءُ ، ولا بجسمٍ فتكونَ لهُ الجهةُ والتِّلقاءُ ، مقدَّسٌ عنِ الجهاتِ والأقطارِ ، مرئيٌّ بالقلوبِ والأبصارِ[٤] ، استوىٰ علىٰ عرشِهِ كما قالَهُ ، وعلى المعنى الذي أرادَهُ ، كما أنَّ العرشَ وما حوىٰ[٥] . . بهِ استوىٰ ، ولهُ الآخرةُ والأُولىٰ ، ليس له مِثْلٌ معقولٌ ، ولا دلَّتْ عليه العقولُ ، لا يحدُّهُ زمانٌ ، ولا يُقِلُّهُ مكانٌ ؛ بَلْ كانَ ولا مكانَ وهو علىٰ ما عليهِ كانَ ، خَلَقَ التَّمكُّنَ[٦] والمكانَ ، وأنشأ الزمانَ ، وقالَ : أنا الواحدُ الحيُّ الذي لا يؤودُهُ[٧] حفظُ المخلوقاتِ ، ولا تَرجِعُ إليه صفةٌ لم يكُنْ عليها مِنْ صَنعَةٍ[٨]

---

(١) في نسخة قونية : (ألوهته) بدل (ألوهيته) .

(٢) في نسخة قونية : (وهو وحدَهُ متَّصفٌ بالوجود لنفسه) بدل (وهو موجود بنفسه) .

(٣) في نسخة قونية : (بل وجود مطلق غير مقيَّدٍ) بدل (بل هو وجود مطلق مستمرٌّ) .

(٤) في نسخة قونية : (مرئي بالقلوب والأبصار إذا شاء) بدل (مرئيٌّ بالقلوب والأبصار) .

(٥) في نسخة قونية : (وما سواه) بدل (وما حوىٰ) .

(٦) في نسخة قونية : (المتمكِّن) بدل (التَّمكن) .

(٧) في نسخة قونية : (أنا الواحدُ الحيُّ ، لا يؤوده حفظ المخلوقات) بدل (أنا الواحدُ الحيُّ **الذي** لا يؤوده حفظ المخلوقات) .

(٨) في نسخة قونية : (صنعه) بدل (صنعة) .

المصنوعاتِ ، تعالىٰ أن تَحُلَّهُ الحوادثُ أو يَحُلَّهَا ، أو أن يكونَ بعدَها[١] ؛ بَلْ يُقالُ : كانَ ولا شيءَ معَهُ ؛ فإنَّ القبلَ والبَعدَ مِنْ صيغِ الزَّمانِ الذي أبدعَهُ تعالىٰ ، فهو القيُّومُ الذي لا ينامُ ، والقهَّارُ الذي لا يُرامُ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[٢] .

خَلَقَ العرشَ وجعلَهُ محلَّ[٣] الاستواءِ ، وأنشأ الكرسيَّ وأوسعَهُ الأرضَ والسماءَ[٤] ، اخترعَ اللوحَ والقلمَ الأعلىٰ ، وأجراهُ كاتباً بعلمِهِ في خَلقِهِ إلىٰ يومِ الفصلِ والقضاءِ ، أبدعَ العالَمَ كُلَّهُ علىٰ غيرِ مثالٍ سبقَ ، وخَلَقَ الخَلْقَ وأَخْلَقَ الذي خَلَقَ ، وأنزلَ[٥] الأرواحَ في الأشباحِ أُمَناءَ ، وجعلَ هٰذه الأشباحَ المُنَزَّلَةَ إليها الأرواحُ في الأرضِ خلفاءَ ، وسخَّرَ لها[٦] ما في السَّماواتِ وما في الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، فما[٧] تتحرَّكُ ذرةٌ إلا إليهِ وعنهُ .

خَلَقَ الكُلَّ مِنْ غيرِ حاجةٍ إليهم[٨] ، ولا مُوجِبٍ أوجبَ ذلك عليهِ ، لٰكنَّ علمَهُ سبقَ فلابُدَّ أن يَخْلُقَ ما خَلَقَ[٩] ، فـ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ

---

(١) في نسخة قونية : (أو تكون بعده أو يكون قبلها) بدل (أو أن يكون بعدها) .
(٢) سورة الشورى ، الآية (١١) .
(٣) في نسخة قونية : (حَدَّ الاستواء) بدل (محلَّ الاستواء) .
(٤) في نسخة قونية : (والسموات العلىٰ) بدل (والسماء) .
(٥) في نسخة قونية : (أنزل) بدل (وأنزل) .
(٦) في نسخة قونية : (وسخَّر لنا) بدل (وسخَّر لها) .
(٧) في نسخة قونية : (فلا تتحرك) بدل (فما تتحرك) .
(٨) في نسخة قونية ، وفي نسخة حبل الله المتين (ب) : (إليه) بدل (إليهم) .
(٩) في نسخة قونية : (لٰكن علمه سبق **بأن** يخلق ما خلق) بدل (لٰكنَّ علمه سبق **فلابُدَّ أن** يخلق ما خلق) .

وَٱلْبَاطِنُۖ ﴾[1] ، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] ، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[3] ، ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾[4] ، ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[5] ، ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[6] ، **كيفَ لا يعلَمُ شيئاً هو خلَقَهُ ؟!** ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[7] .

عَلِمَ الأشياءَ قبلَ وجودِها[8] ، ثُمَّ أوجدَها على حدِّ ما علِمَها ، فلَمْ يزَلْ عالِماً بالأشياءِ ، لَمْ يتجدَّدْ لهُ علْمٌ عندَ تجدُّدِ الأشياءِ[9] ، بعلمِهِ أتقنَ الأشياءَ وأحكمَها ، وبهِ حكَّمَ عليها مَنْ شاءَ وحكَّمَها ، عَلِمَ الكُلِّياتِ على الإطلاقِ ، كما عَلِمَ الجُزئياتِ بإجماعٍ مِنْ أهلِ النَّظَرِ الصَّحيحِ والاتفاقِ[10] ، فهو تعالىٰ ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[11] .

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾[12] **فهو المريدُ للكائناتِ[13] في عالَمِ الأرضِ**

---

(١) سورة الحديد ، الآية (٣) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (١٢٠) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية (١٢) .

(٤) سورة الجن ، الآية (٢٨) .

(٥) سورة طه ، الآية (٧) .

(٦) سورة غافر ، الآية (١٩) .

(٧) سورة المُلْك ، الآية (١٤) .

(٨) في نسخة قونية : (علم الأشياء **منها** قبل وجودها) بدل (علم الأشياء قبل وجودها) .

(٩) في نسخة قونية : (تجدد الإنشاء) بدل (تجدد الأشياء) .

(١٠) في نسخة قونية : (واتفاق) بدل (والاتفاق) .

(١١) سورة المؤمنون ، الآية (٩٢) ، وفي نسخة قونية ذكر الشيخ آية الأنعام (٧٣) : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ، وآية الأعراف (١٩٠) : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

(١٢) سورة هود ، الآية (١٠٧) .

(١٣) في نسخة قونية : (المريد الكائنات) بدل (المريد للكائنات) .

والسَّماواتِ ، تتعلَّقُ قدرتُهُ تعالىٰ بإيجادِ كُلِّ شيءٍ حيٍّ أرادَهُ ، كما أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ سبحانَهُ إيجادَ حيٍّ لا يعلَمُهُ[١] ؛ إذ يستحيلُ في العقلِ أن يريدَ ما لا يعلَمُ ، أو يفعلَ المختارُ ـ المتمكِّنُ مِنْ ترْكِ ذلك الفعلِ ـ ما لا يريدُهُ[٢] ، كما يستحيلُ أن توجَدَ هـٰذه الحقائقُ مِنْ غيرِ حيٍّ[٣] ، كما يستحيلُ أن تقومَ هـٰذه الصِّفاتُ[٤] بغيرِ ذاتٍ موصوفةٍ بها ، فما في الوجودِ طاعةٌ ولا عصيانٌ ، ولا رِبحٌ ولا خُسرانٌ ، ولا عبدٌ ولا حُرٌّ ، ولا بَرْدٌ ولا حَرٌّ ، ولا حياةٌ ولا موتٌ ، ولا حصولٌ ولا فوتٌ ، ولا نهارٌ ولا ليلٌ ، ولا اعتدالٌ ولا مَيلٌ ، ولا بَرٌّ ولا بحرٌ ، ولا شفعٌ ولا وِترٌ ، ولا جوهرٌ ولا عَرَضٌ ، ولا صِحَّةٌ ولا مرضٌ ، ولا فرحٌ ولا ترَحٌ ، ولا رُوحٌ ولا شبحٌ ، ولا ظلامٌ ولا ضياءٌ ، ولا أرضٌ ولا سماءٌ ، ولا تحريمٌ[٥]

---

(١) في نسخة قونية : (لم تتعلق قدرته بشيء حتَّىٰ أراده ، كما أنَّه لم يرده حتىٰ علمه) .
والشيخ البيتماني في هـٰذه الرِّسالة اعتمد على الكتبة الأولىٰ للفتوحات ، كما أشرنا لذلك في المقدِّمة ، وهـٰذه العبارة مشكلة ؛ لأنَّ الشيخ الأكبر قد خصَّص القدرة بإيجاد مَن له حياة منَ الأشياء ، مع أنَّ الأشياء كلها ـ من جماد وحيوان ـ أوجدتها القدرة كذلك ؟

نقول : قال الشيخ في « الفتوحات » في الباب الثاني عشر عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ : (وشيء نكرة ، ولا يسبِّحُ إلا حيٌّ عاقل عالِمٌ بمُسَبَّحِهِ) فأراد الشيخ أن يشير علىٰ أنَّ الحياة تعمُّ كل ما تتعلق به القدرة . وقد أطال الشيخ الأكبر في حياة الممكنات في الباب ٣٥٧ ، فانظره .

(٢) في نسخة قونية : (ما لا يريد) بدل (ما لا يريده) .
(٣) في نسخة قونية : (كما يستحيل أن توجد نِسَبُ هـٰذه الحقائق في غير حيٍّ) .
(٤) في نسخة قونية : (أن تقوم الصِّفات) بدل (أن تقوم هـٰذه الصِّفات) .
(٥) في نسخة قونية : (ولا تركيب) بدل (ولا تحريم) .




ولا تحليلٌ ، ولا قليلٌ ولا كثيرٌ[١] ، ولا غَداةٌ ولا أصيلٌ ، ولا بياضٌ ولا سوادٌ ، ولا رُقادٌ ولا سُهادٌ ، ولا ظاهرٌ ولا باطنٌ ، ولا متحرِّكٌ ولا ساكنٌ ، ولا يابسٌ ولا رَطْبٌ ، ولا قشرٌ ولا لُبٌ ، ولا شيءٌ من هٰذهِ النِّسبِ المتضادَّاتِ والمختلفاتِ[٢] والمتماثلاتِ . . إلا وهو مرادٌ للحقِّ تعالىٰ ، وكيف لا يكونُ مراداً لهُ وهو أوجَدَهُ ؟! فكيف يُوجِدُ المختارُ ما لا يريدُهُ[٣] ؟! لا رادَّ لأمرِهِ ولا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، يؤتي المُلْكَ مَنْ يشاءُ وينزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ يشاءُ ، ويُعِزُّ مَنْ يشاءُ ويُذِلُّ مَنْ يَشاءُ ، ويَهْدِي مَن يَشاءُ ويُضِلُّ مَن يَشاءُ[٤] ، ما شاءَ كانَ وما لَمْ يشأ أن يكونَ لَمْ يكُنْ ، لو اجتمعَ الخلائقُ كلُّهُم علىٰ أن يريدُوا شيئاً لَمْ يُرِدِ اللهُ تعالىٰ أن يُريدوهُ . . ما أرادُوهُ ، أو يفعلوا شيئاً لَمْ يُرِدِ اللهُ تعالىٰ إيجادَهُ وأرادوهُ ـ عندما أرادَ منهم أن يُريدوهُ ـ . . ما فعلوهُ ، ولا استطاعوا علىٰ ذلك ، ولا أقدَرَهُمْ عليهِ .

فالكفرُ والإيمانُ ، والطَّاعة والعصيان . . من مشيئته وحكمه وإرادته ، ولم يزل سبحانه موصوفاً بهٰذه الإرادة أزلاً والعالَم معدومٌ غير موجود ـ وإن كان ثابتاً في العلم في عينه ـ ثم أوجد العالَم من غير فِكْرٍ[٥] ولا تدبُّر ـ عن جهل أو عدم علم ـ فيعطيه التفكُّر والتَّدبُّر علمَ ما جَهِل ، جلَّ وعلا عن

---

(١) في نسخة قونية تقديمٌ وتأخير : (ولا كثير ولا قليل) بدل (ولا قليل ولا كثير) .

(٢) في نسخة قونية : (المتضادات منها والمختلفات) بدل (المتضادات والمختلفات) .

(٣) في نسخة قونية : (ما لا يريد) بدل (ما لا يريده) .

(٤) في نسخة قونية تقديم وتأخير : (ويُضِلُّ مَن يَشاءُ ويَهْدِي مَن يَشاءُ) بدل (ويَهْدِي مَن يَشاءُ ويُضِلُّ مَن يَشاءُ) .

(٥) في نسخة قونية : (تفكُّر) بدل (فكر) .

ذلك ، بل أوجده[١] عن العِلْمِ السابق وتعيين الإرادة المنزَّهة الأزليَّة القاضية على العالَم بما أوجدته عليه من زمانٍ ومكانٍ وأكوانٍ وألوانٍ ، فلا مدبِّر[٢] في الوجود على الحقيقة سواه ؛ إذ هو القائل سبحانه : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣] .

وأنَّه سبحانه كما علِم فأحكَمَ ، وأراد فخصَّصَ ، وقدَّر فأوجد . . فكذلك[٤] سمع ورأىٰ ما تحرَّك أو سكن أو نطق في الورىٰ ، منَ العالَم الأسفل والأعلىٰ ، لا يحجبُ سمعَه البعدُ . . فهو القريب ، ولا يحجبُ بصرَه القربُ . . فهو البعيد ، يسمع كلام النَّفْسِ في النَّفْسِ وصوت المماسَّة الخفيَّة عند اللمس ، ويرى السَّواد في الظلماء ، والماء في الماء ، لا يحجبه الامتزاج ، ولا الظلمات ولا النور ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٥] .

متكلمٌ[٦] سبحانه لا عن صمت متقدِّم ، ولا سكوت متوهَّم . . بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلَّم به موسىٰ عليه السلام ، سمَّاه التنزيل والزبور والتوراة والإنجيل ، من غير حروف ولا أصوات ، ولا نغم ولا لغات ، بل هو تعالىٰ خالق الأصوات والحروف واللغات ، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان ، كما أنَّ

---

(١) في نسخة قونية : (أُوجِدَ) بدل (أوجَدَه) .
(٢) في نسخة قونية : (فلا مريد) بدل (فلا مدبِّر) .
(٣) سورة الإنسان ، الآية (٣٠) .
(٤) في نسخة قونية : (كذلك) بدل (فكذلك) .
(٥) سورة الشورى ، الآية (١١) .
(٦) في نسخة قونية : (تكلَّمَ) بدل (متكلمٌ) .

سمعه تعالىٰ من غير أصمخة ولا آذان ، كما أنَّ بصره تعالىٰ من غير حَدَقَةٍ ولا أجفان ، كما أنَّ إرادته تعالىٰ من[1] غير قلب ولا جَنان ، كما أنَّ علمه تعالىٰ من غير اضطرارٍ ولا نظرٍ في برهان ، كما أنَّ حياته من غير بخارِ تجويفِ قلبٍ حدثَ عن امتزاج الأركان ، كما أنَّ ذاته تعالىٰ لا تقبل الزِّيادة والنقصان ، فسبحانه سبحانه من بعيد دان ، عظيم السلطان ، عميم الإحسان ، جسيم الامتنان ، كل ما سواه . . فهو عن جوده فائض ، وفضله وعدله الباسطُ له والقابضُ ، أكمل صنع العالَم وأبدعه حين أوجده واخترعه ، لا شريك له في مِلكه[2] ، إن أنعم فنَعَّم . . فذلك فضله ، وإن أبلىٰ فعَذَّب . . فذلك عدله ، لم يتصرَّف في مِلك غيره . . فينسب إلى الجَور والحَيف ، ولا يتوجه عليه لسواه حكمٌ . . فيتصف بالجزع ـ لذلك[3] ـ والخوف ، كل ما سواه تحت سلطان قهره ، ومتصرف عن إرادته وأمره ، فهو المُلْهِمُ نفوسَ المكلَّفين . التقوىٰ والفجور ، وهو المتجاوز عن سيئات مَن شاء والآخِذ بها مَن شاء . . هنا وفي يوم النشور ، لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله ، أخرج العالَم قبضتين ، وأوجد لهم منزلتين ؛ فقال : هـٰؤلاء للجنة ولا أبالي ، وهـٰؤلاء للنار

---

(١) في نسخة قونية : (في) بدل (مِنْ) .

(٢) بعد قوله (لا شريك له في مِلكه) في نسخة قونية زيادة : (ولا مدبِّر معه في مُلكه) .

(٣) في نسخة قونية : (لذلِّه) بدل (لذلك) ، وكلُّ مَن حقَّق « الفتوحات المكيَّة » على النسخة القونويَّة لم يتنبَّه لهـٰذا الاختلاف .

ومعنىٰ (لذُلِّه) أي : أنَّه سبحانه منزَّهٌ عن الجزع وأصله ، وهو : الذُّل ؛ فلا يتوجَّه عليه حكمٌ من أحدٍ سواه .




ولا أبالي ، ولم يعترض عليه معترضٌ هنالك[١] ؛ إذ لا موجود ـ كان ـ ثمَّ سواه ، فالكلُّ تحت تصريفِ أسمائهِ ، فقبضته[٢] تحت أسماءِ بلائهِ وقبضته[٣] تحت أسماءِ آلائهِ ، ولو أراد سبحانه أن يكون العالَمُ كله سعيداً . . لكان ، أو شقيّاً . . لكان ، فما كان مِن ذلك مِن شيء ؛ لأنَّه سبحانه لم يُرِد ، فكان كما أراد[٤] ، فمنهمُ الشَّقيُّ والسَّعيدُ هنا وفي يوم المعاد ، فلا سبيل إلىٰ تبديل ما حكم عليه القديم ، وقد قال تعالىٰ في الصلاة : « هي خمس وهي خمسون »[٥] ، ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[٦] لتصرُّفي[٧] وإنفاذ مشيئتي في مُلكي ؛ وذلك لحقيقةٍ عميت عنها الأبصار والبصائر ، ولم تعثر عليها الأفكار والضمائر[٨] ، إلا بوهبٍ إلـٰهي وجودٍ رحماني لمَنِ اعتنى الله تعالىٰ به مِنْ عباده وسبق له ذلك بحضرة إشهاده ، فعَلِم حين أُعلِم أن الألوهة أعلَمَتْ[٩] هـٰذا التقسيم ، وأنَّه من رقائق القديم ، فسبحان مَنْ لا فاعل سواه ولا موجود . .

---

(١) في نسخة قونية : (هناك) بدل (هنالك) .

(٢) في نسخة قونية : (فقبضةٌ) ـ وهي الصواب ـ بدل (فقبضته) .

(٣) في نسخة قونية : (وقبضةٌ) ـ وهي الصواب ـ بدل (وقبضته) .

(٤) في نسخة قونية : (ولو أراد سبحانه أن يكون العالَمُ كله سعيداً . . لكان ، أو شقياً . . لَما كان من ذلك في شأن ، لـٰكنَّه سبحانه لم يُرد . . فكان كما أراد) بدل (ولو أراد سبحانه أن يكون العالَمُ كله سعيداً . . لكان ، أو شقيّاً . . لكان ، فما كان مِن ذلك مِن شيء ؛ لأنَّه سبحانه لم يُرِد . . فكان كما أراد) .

(٥) جزء من حديث الإسراء ، أخرجه البخاري (٣٤٩) ، ومسلم (١٦٣) .

(٦) سورة ق ، الآية (٢٩) .

(٧) بعد قوله (لتصرُّفي) في نسخة قونية **زيادة** : (في مِلكي) .

(٨) في نسخة قونية : (ولا الضمائر) بدل (والضمائر) .

(٩) في نسخة قونية : (أعطت) بدل (أعلمت) .

بنفسه[1] إلا إيَّاه ، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] و﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[3] ، ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] .

الشهادة الثانية

وكما أشهدتُ الله وملائكته وجميعَ خلقه وإيَّاكم علىٰ نفسي بتوحيده . . كذلك[5] أشهِده سبحانه وملائكته وجميع خلقه وإيَّاكم علىٰ نفسي . . بالإيمان بمَنْ اصطفاه الله تعالىٰ واختاره[6] واجتباه من جوده[7] ، وذلك[8] سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي أرسله إلىٰ جميع الناس كافة ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[9] ، ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[10] .

فبلَّغ صلى الله عليه وسلم ما أُنزلَ إليهِ مِنْ ربِّه[11] ، وأدَّىٰ أمانته ، ونصحَ أُمَّتَهُ ، ووقف في حَجَّةِ وداعه علىٰ كُلِّ مَنْ حضر مِنْ أتباعه . . فخطب وذكَّر ، وخوَّف وحذَّر ، وبشَّر وأنذر ، ووعد وأوعد ، وأمطر وأرعد ، وما خصَّ بذلك التَّذكير أحداً مِنْ أحد ، عن إذنِ الواحد الصَّمَد ،

---

(١) في نسخة قونية : (لنفسه) بدل (بنفسه) .
(٢) سورة الصافات ، الآية (٩٦) .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٢٣) .
(٤) سورة الأنعام ، الآية (١٤٩) .
(٥) في نسخة قونية : (فكذلك) بدل (كذلك) .
(٦) في نسخة قونية : (بمَنْ اصطفاه واختاره) بدل (بمَنْ اصطفاه الله **تعالىٰ** واختاره) .
(٧) في نسخة قونية : (وجودِه) بدل (جوده) .
(٨) في نسخة قونية : (ذلك) بدل (وذلك) .
(٩) سورة سبأ ، الآية (٢٨) .
(١٠) سورة الأحزاب ، الآية (٤٦) .
(١١) في نسخة قونية تقديم وتأخير : (ما أُنزِلَ مِنْ ربِّه إليه) بدل (ما أُنزلَ إليهِ مِنْ ربِّه) .

ثم قال : « ألا هل بلّغت » ؛ فقالوا : بلَّغتَ يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم اشهد »[1] .

وإنِّي مؤمنٌ بكلِّ ما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ممَّا علمتُ وما لم أعلم ، فقرَّر[2] أنَّ الموت عن أجلٍ مسمَّىً عند الله تعالىٰ إذا جاء . . لا يؤخَّر ، فأنا مؤمنٌ بهـٰذا كله[3] ؛ إيماناً لا ريبَ فيهِ ولا شك .

كما آمنتُ وأقررتُ أنَّ سؤال فتَّانَي القبر . . حقٌّ[4] ، وبعث الأجساد منَ القبور . . حقٌّ ، والعَرْضُ على الله تعالىٰ . . حقٌّ ، والحوض . . حقٌّ ، والميزان . . حقٌّ ، وتطاير الصُّحف . . حقٌّ ، والصِّراطُ . . حقٌّ ، والجنَّة . . حقٌّ ، والنَّار . . حقٌّ ، وفريقاً في الجنَّة وفريقاً في النار . . حقٌّ ، وكرْب ذلك اليوم . . حقٌّ علىٰ طائفةٍ ، وطائفةٌ أخرىٰ ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾[5] ، وشفاعة الملائكة والنَّبيِّين والمؤمنين وإخراج أرحم الراحمين ـ بعد الشفاعة ـ منَ النَّار مَنْ شاءَ . . حقٌّ ، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يُخرجون منها بالشَّفاعة والامتنان . . حقٌّ ، والتأبيد للمؤمنين والموحِّدين في النَّعيم المقيم في الجِنان . . حقٌّ ، والتأبيد لأهل النَّار في النَّار . . حقٌّ ، وكل ما جاءت به الكُتُب والرُّسُل مِنْ عند الله ـ عُلِمَ أو جُهِلَ ـ حقٌّ .

---

(١) رواه البخاري (٤٤٠٣) ، ومسلم (١٦٧٩) .

(٢) **زيادة** في نسخة قونية قبل قوله (فقرَّر) : (**فمما جاء به فقرَّر**) .

(٣) قوله : (كله) ليس في نسخة قونية .

(٤) بعد قوله : (وأقررتُ أنَّ سؤال فتَّانَي القبر حقٌّ) في نسخة قونية **زيادة** : (وعذاب القبر حقٌّ) .

(٥) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٣) .

فهٰذه شهادتي علىٰ نفسي أمانة عند كل مَن وصلت إليه . . أن يؤديها إذا سُئِلَها حيثما كان .

نفعنا الله وإيَّاكم بهٰذا الإيمان ، وثبَّتنا عليه عند الانتقال من هٰذه الدَّار إلى الدَّار الحيوان ، وأحلَّنا منها دار الكرامة والرِّضوان ، وحال بيننا وبين دارٍ سرابيلها من قطران[1] ، وجعلنا منَ العصابة الذين أخذت[2] الكتب بالأَيمان ، ومِمَّنْ انقلب منَ الحوض وهو ريَّان ، وثُقِّل له الميزان ، وثَبَتَ[3] له على الصِّراط القدمان ، إنَّه المنعم المنَّان[4] .

و﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾[5] .

فهٰذه عقيدة العوامِّ من أهل الإسلام أهل التَّقليد « أي : الذين قلَّدوا ظاهر الكتاب والسُّنَّة » **وأهل النَّظر** « أي : الذين نظروا بآراء عقولهم في الكتاب والسُّنَّة فأخذوا إيمانهم منهما علىٰ حسب وسعهم »[6] .

انتهىٰ قول الشيخ الأكبر قدَّسَ اللهُ سرَّه ؛ ملخصاً مختصراً ، وهو كافٍ لأهل الإيمان بطريق الإجمال .

وأمَّا إيمانُ الخواصِّ من رجال الله العارفين به ، كالشيخ الأكبر من

---

(١) في نسخة قونية : (القطِران) بدل (من قطران) .

(٢) في نسخة قونية : (التي أخذت) بدل (الذين أخذت) .

(٣) في نسخة قونية : (وثبتت) بدل (وثبت) .

(٤) في نسخة قونية : (المِحسان) بدل (المنَّان) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٤٣) ، وفي نسخة قونية : (فـ﴿الحمد لله﴾) الآية ، بدل (و﴿الحمد لله﴾) .

(٦) ما بين علامتي التنصيص « » زيادةُ شرحٍ منَ المؤلِّف العارف البيتماني .

طريق خصوصيَّته ، ومَن ماثله في المقام. . فإنَّ إيمانهم فوق ذلك ، من باب الذَّوق والوجدان ، والكشف الظَّاهر للعِيان ، وهو إيمانٌ حقيقيٌّ رُوحانيٌّ إلـٰهيٌّ ، ساكنٌ في قلوبِ الرِّجالِ علىٰ حسب وسع كل واحد منهم ، وذلك منهم مع إقامة حدود الله تعالىٰ وإجراء أحكامه مجراها ، والوقوف مع ما تقتضيه ظواهر الشريعة مِنَ الأحكام والآداب ، لا يفرِّطون في شيءٍ منها ، ولا يضيِّعون أدباً من آدابها ، ولا يُبيحُون مالَ أَحدٍ ولا عِرضَه ، ولا عندهم إنكارٌ علىٰ أَحدٍ من علماء الشَّريعة من حيثُ نقلهم للأحكام الشَّرعية الواردة في الكتاب والسُّنة والاجتهاد والقياس ؛ فإنَّ الشَّريعة المحمَّدية قائمة علىٰ خمسة أقسام ، وكلُّ قسم منها قائم علىٰ خمسة أقسام أيضاً ، يجب علىٰ كلِّ مكلَّف الإيمان بذلك والعمل بها ، علىٰ حسب اختلاف أقسامها ، ولا ينكر واحداً منها إلا كل ملحدٍ زنديقٍ ، خارجٍ عن ملَّة السُّنَّة المحمَّدية .

القسم الاول :

اعتقادات : وهي أن تؤمن بقلبك بالله تعالىٰ ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره .

والقسم الثاني :

عبادات : وهي إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصيام فرضاً ونفلاً ، والحج ، والجهاد .

والقسم الثالث :

مُعاملات : وهي معاوضات، ومُناكحات، ومخاصمات ، وأمانات، وشركات .



والقسم الرابع :

عقوبات : وهي حدُّ الرَّجم ، وحدُّ الجلد ، وحدُّ القذف ،وحدُّ السَّرقة ، وحدُّ القِصَاص .

والقسم الخامس :

كفَّارات : وهي كفَّارةُ الظِّهار ، وكفَّارةُ اليمين ، وكفَّارةُ قتل الخطأ ، وكفَّارةُ الصِّيام ، وكفَّارةُ الحجِّ . انتهى

فهٰذه أركانُ الشَّريعة وحدودها ، قائمة مؤيَّدة بالحقِّ إلىٰ يوم الدِّين ، لا تنسخ ولا تتبدَّل ؛ فأهل الله العارفون به . . بَنَوا طريقهم على العمل بهٰذه الشَّريعة وعلى الإيمان بها ؛ فزادهم الله تعالىٰ علىٰ ذلك الإيمانِ . . الإيمانَ بالغيب، وعلَّمهم من لدُنْهُ علماً ، قال الله تعالىٰ : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤]، وقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ [النساء : ١٣٦] .

فإيمان المقرَّبين من أهل الله كالشَّيخ محيي الدِّين ابن العربي وأمثاله قدَّس اللهُ أسرارهم . . إيمانٌ كشفيٌ ، مشيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة ، ومؤيَّد بالأعمال الشَّرعية ، لا يشبه إيمان العامَّة من ذوي العقول القاصرة ؛ إذ للعقول حدٌّ تقِفُ عنده من حيثُ ما هي مفكِّرة ، فأنَّىٰ لها أن تبلغ ما بلغ الرِّجال ؟!

لٰكن هنا أمر عظيم ، سهلُ المأخذ ؛ يُلحِقُك بأهل الله تعالىٰ وإن لم تكن منهم ، وهو :

أنَّكَ تعلمُ يقيناً أنَّ لله تعالىٰ عباداً عارفين به . . اختصَّهم لنفسه ، وعلَّمهم أسرارَ دينه ، وكشفَ لهم عن سُبُحَات وجهه ، وأطلعَهم علىٰ

مكنون علمه ، وأشهدَهم ظهور وجهه في كلِّ جهة . . فتُصَدِّقُ بهم وبما هم عليه منَ الكمال الإلـٰهيِّ ، وتؤمنُ لهم كما آمن لهم الرَّسول عليه السلام ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة : ٦١] ، فإنَّك إن فعلت ذلك وأحببتهم ، سواءٌ عرفتهم أم لم تعرفهم ، وأذعنْتَ لأقوالهم وأفعالهم ، ولم تُنكر عليهم في مواجيدهم ومشاربهم الإلـٰهيَّة . . التحقتَ بهم ، وكُتبتَ في حزبهم ، وكنتَ رفيقهم في السَّعادة ، وحُشرتَ معهم في الآخرة؛ بحكم ما ورد في الحديث : « **المرء مع مَنْ أحبَّ** »[1] ، قال الله تعالىٰ : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة : ٣] ؛ فالإيمان بالقلب واللسان . . كافٍ عند العامَّة ، وأمَّا الطريق الذي سَلَكَتْ عليه الخاصَّةُ أهلُ الإيمان الكامل الذين طلبوا نجاتهم دون العامَّة ـ الَّذين شَغلوا أنفسهم بغير ما خُلِقت له ـ . . فهو علىٰ أربعة شعب[2] :

الشعب الأوَّل : بواعث .

أي : بعثهم علىٰ ذلك . . الرَّغبة في الله ، والرَّهبة منَ الله ، والتَّعظيم لله .

والشِّعب الثاني : دواعي .

أي : دعاهم إلىٰ ذلك . . الخاطرُ في الله ، والإرادة لله ، والعزم بالله ، والهمَّة عن الله ، والنيَّة منَ الله .

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) .

(٢) انظر « الفتوحات المكية » (١/ ٣٣) ، تجد أصل هـٰذا الكلام الذي ذكره المؤلِّف .

والشِّعب الثالث : أخلاق .

أي : منافعُ متعدِّيةٌ ؛ كدفع المضرَّات عن خلق الله تعالىٰ ما أمكنهم ، وصنائعِ المعروف معهم .

ومنافعُ قاصرةٌ ؛ كالورع ، والزُّهد في أنفسهم .

ومنافعُ مشتركةٌ ؛ كالصَّبر علىٰ أذى الخَلق لهم .

والشِّعب الرابع : حقائق .

أي : تحققهم بحقائق الذَّات العليَّة ، وحقائق الصِّفات الإلـٰهيَّة ، وحقائق الأفعال الأسمائيَّة ، وحقائق المفعولات الرَّحمانيَّة .

والذي دعاهم إلىٰ هـٰذه الدَّواعي ، والبواعث ، والأخلاق ، والحقائق . . ثلاثةُ حقوقٍ فُرِضت عليهم : حقٌّ لله تعالىٰ ، وحقٌّ للخلق ، وحقٌّ لأنفسهم .

فالحقُّ الذي لله عليهم . . أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

والحقُّ الذي للخلق عليهم . . كفُّ الأذىٰ عنهم إلا بأمر شرعي ، وبذلُ المعروف معهم .

والحقُّ الذي لأنفسهم عليهم . . أن لا يسلكوا بها منَ الطُّرق إلا الطَّريق الذي فيه سعادتها ونجاتها ، وإن أبتْ لجهلٍ قام بها أو سوءِ طبعٍ ؛ إذ الجهلُ يضادُّ الدِّين ؛ لأنَّ الدِّين عِلمٌ ، وسوء الطَّبع يضادُّ المروءة .

« ومدار الإيمان العلمي الذي اختصَّت به أهل الله العارفون . . علىٰ سبع مسائل ، مَن عرفها لم يعسر عليه شيء من علم الحقائق ، وفاز بإيمان أكمل الخلائق ، وهي : معرفة أسماء الله ، ومعرفة تجلِّياته

تعالىٰ ، ومعرفة خطاب الله تعالىٰ عباده بلسان الشرع ، ومعرفة كمال الوجود ونقصه ، ومعرفة الإنسان من جهة حقائقه ، ومعرفة الكشف الخيالي ، ومعرفة العلل والأدوية »[1] .

فهٰؤلاء القوم هم الكاملون أهل العلم الرَّاسخ والعمل الصَّحيح ، الَّذين قال الله تعالىٰ فيهم : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران : ٧] ، وهم أهل الفضل والكرم ، فعليك بهم إن وجدتهم ، فادخل في حِماهم واصحبهم علىٰ ما هُم ، وتخلَّق بأخلاقهم ، وتمسَّك بأطراف أذيالهم ، وما أحسن ما قال بعضهم « مَوَالِيَا » :

عَاشِرْ ذَوِيْ الفَضْلِ وَاصْحَبْهُمْ عَلىٰ مَا هُمْ   لَعَلَّ في الحَشْرِ أَنْ تُوْرِدْ علىٰ مَاهُمْ
أَقْوَامْ ربُّ السَّمَا بالقُنعْ أَغْناهُمْ   مِنَ التَّعَفُفْ تَعرِفْهُمْ بِسِيمَاهُمْ

وقال الشيخ محيي الدِّين الأكبر ـ قدَّس الله سرَّه ـ في « مواقع النجوم » : لا تصاحب أحداً إلا مَن ترىٰ معه الزِّيادة في دينك ، فإن نقص . . فاهرب منه هروبك منَ الأسد بل أشد ؛ فإنَّ الأسد يهدم دنياك ويعطيك الدَّرجات ، والقرين السُّوء يحرمك الدُّنيا والآخرة ، الورع في المنطق منَ الحكمة ، « **وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ في النَّارِ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ** »[2] .[3] انتهىٰ

(١) هـٰذا النَّص اقتبسه المؤلف منَ « الفتوحات المكية » مع اختلاف يسير . انظر « الفتوحات المكية » (١/ ٣٤) .
(٢) رواه أحمد في « مسنده » (٢٢٤٣٩) ، والترمذي (٢٦١٦) وقال : (هـٰذا حديث حسَنٌ صحيحٌ) .
(٣) « مواقع النجوم » (ص ٢٩٢) .

فإذا عاشرت أهل المعرفة والكمال . . ازدادَ إيمانك بصحبتهم ، واصطلحَ حالُك بمرافقتهم ، وبالعكس مع أهل العكس .

فإذا عرفت يا أيها الإنسانُ ما ذكرناه لك منَ الإيمان العامِّ والإيمان الخاصِّ كما بيَّناه مفصَّلاً ومجملاً . . فاجعل ذلك خميرةً في نفسك ، واثبت عليها وتمسَّك بها ، ولا ترمِها من يدك ، ثم ادخل إلىٰ حضرةٍ هي مِن وراء ذلك ـ إنْ فُتِحت لك ـ وهي حضرة رؤية ظهور الوجود في صورة كلِّ موجود ، وهي حضرة قيُّوميَّةِ الحقِّ علىٰ صور جميع الخلق ، فاسبح في بحار تلك الحضرات . . إن كنتَ من أهل ذلك ، ولا ترمِ الميزان الأول من يدك كما قلنا[1] ، فتكون في باطنك عارفاً وفي ظاهرك عابداً ، أو تكون في باطنك ربّاً وفي ظاهرك عبداً ، أو تكون في باطنك حقّاً وفي ظاهرك خلقاً ؛ فإنَّه تعالىٰ ظَهَر في عالم الشَّهادة ظهور الملوك الكونيَّة ، كما قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] أي : ظهر واستولىٰ علىٰ عرش الكائنات كلِّها بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه .

فجعل العرش . . نظير سرير الملِك واستولىٰ عليه بفردانيَّته ، ونَصَبَ الكُرسيَّ ودلَّىٰ عليه قَدمَيه للحكم . . نظير كرسي الملِك الذي يجلس عليه وقت الدِّيوان للحكم بين الرَّعايا ، وجعل سبعة وزراء تُدبِّر العالم ؛ وهم

---

(١) يقصد الشيخ رضي الله عنه بقوله : (ولا ترمِ الميزان الأول من يدك) أي : عقيدة العوامِّ .

قال الإمام أبو القاسم القشيري في تفسيره « لطائف الإشارات » (٣/ ٨٧) : (فتنة الخواص في حفظ آداب الوصول في أوان المشاهدات ، وأشدُّ الفتن حفظ وجود التَّوحيد ؛ لئلا يجرىٰ عليك مكرٌ في أوقات غلبات شاهد الحقِّ فيظن أنه الحق ، ولا يدري أنَّه منَ الحقِّ ، وأنَّه لا يُقال إنَّه الحقُّ ، وعزيزٌ مَن يهتدي إلىٰ ذلك) .

زحل ثم المشتري ثمّ المرِّيخ ثم الشمس ثم الزُّهرا ثم عطارد ثم القمر ، يُدَبِّرون الأفلاك العلويَّة والسفليَّة . . نظير تدبير الوزراء لمملكة الملِك ورعاياه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾[1] [النازعات : ٥] ، وجعل ملائكة منتشرة . . نظير جنود الملِك ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح : ٤] تحمل إليه أخبار الرَّعية وأعمالها ، وهم الحفظة وملائكة الليل والنهار ، فيحكم تعالىٰ علىٰ كلِّ واحدٍ بما يصدر منه منَ الأعمال والأقوال ، وجعل رسولاً يسحب إليه كل مَن وجبت عليه الدَّعوىٰ ـ وهو عزرائيل عليه السلام ـ عند الموت . . فيقضي تعالىٰ بحكمه علىٰ كلِّ عبد بما يلزم شرعاً من عفوٍ وثواب ، أو مؤاخذةٍ وعِقاب ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ [الرعد : ٤١] ، وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٤٨] .

وجعل له نُدماء وهم المقرَّبون من عباده . . نظير ندماء الملِك ، وجعل خُدَّاماً يقفون في بابه وهم العارفون ، وجعل طُلاَّبا يطلبونه وهم العابدون ، وجعل قضاةً ومفتيةً[2] يرشدون عباده إلىٰ طريق مستقيم ، ويصلحون ذات بينهم ، وهم الأنبياء والمرسلون عليهمُ السلام .

وجعل قُطَّاعاً للطريق وهم العصاة المذنبون ، وجعل أعداء يعصونه ولا يطيعونه وهم الكافرون ، وجعل فراعنة كذَّابين يدَّعون مقام سلطانه وهم الزَّنادقة الملحدون ، وجعل عدواً ينازعه في عباده وهو إبليس وجنوده الملعونون ، وجعل ظَلَمَةً يدَّعون ما ليس لهم وهم عامَّة

---

(١) في (أ) و(ب) : (والمدبرات أمرا) وهو خلاف التلاوة .

(٢) كذا في (أ) و(ب) : (مفتية) !

المؤمنين ، الذين يظلمون الوجود بدعواهم ما يخلقه الله تعالىٰ فيهم لأنفسهم ، إلىٰ غير ذلك لما يطول الكلام فيه .

فالجميع مجعولٌ بجعل جاعل ، والجميع خلقه تعالىٰ وتقديره علىٰ هـٰذا النَّمط ، وهو المنزَّه عن مشابهة ذلك كلِّه من حيثُ ذاتُه العليَّة ، وهو سبحانه وتعالىٰ ظهر في هـٰذه الجملة[1] بذاته بلا كيف ولا كيفيَّة ، ثمَّ فصَّل مجمل ذلك كما أراد بحسب مقتضيات أسمائه ، **نظير ظهور الملِك بحكمه علىٰ سائر أهل مملكته** ، هـٰذا من حيثُ اسمُهُ الظَّاهر وهو الملك الحقُّ المبين .

وأمَّا من حيثُ اسمُهُ الباطن الغيب الذي لا يُعرف ولا يدرك . . « استخرج منَ الأب الأوَّل أنوار الأقطاب شموساً تسبح في أفلاك العلامات ، واستخرج أنوار النجباء نجوماً تسبح في أفلاك الكرامات ، وثبَّت الأوتاد الأربعة في الجهات الأربع . . فانحفظت بهم الأراضي وما فيها ، والسماوات وما فيها »[2] ، واستقام العالَم بهم علىٰ ما يقتضيه هـٰذا الظهور ، فهو تعالى الظَّاهر والباطن ، ومَن عرفَ الظَّاهر . . فقد عرفَ الباطن ؛ لأنَّ الظَّاهر هو عينُ الباطن ، لـٰكن فرَّقَ بينهما بصر الجاهلين ، فلا تنظر يا أيُّها السَّالك إلى العالَم الجسماني في حضرة الظَّاهر فقط ، وتُعرِض عنِ الأمر الرُّوحاني الذي هو حضرة الباطن . . فتكون كمَن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض ، وهـٰذا من قبيل الإيمان بالوجود علىٰ مقتضى النَّظر النُّوراني الإلـٰهي بحكم ما ورد في الحديث :

---

(١) في (ب) : (بهـٰذه الجملة) بدل (في هـٰذه الجملة) .
(٢) هـٰذا النَّص مقتبس منَ « الفتوحات المكيَّة » بتصرُّف ، انظر (١/ ٤) .

« **المؤمن ينظر بنور الله** »[1] ، لا علىٰ حسب ما تقتضيه العقول القاصرة والبصائر الغير باصرة ؛ « إذ للعقول حدٌّ تقِفُ عنده من حيثُ ما هي مفكرة »[2] ، فأنَّىٰ لها بمعرفة المطلق والوصول إليه ! وكيف يمكن عند العقل أن يصل الممكن إلىٰ معرفة واجب الوجود ؛ إذ الممكن يجوز عليه الانعدام ، وواجب الوجود دائماً على الدَّوام ، غير أنَّ الممكن قائم بظهور الألوهية وقيُّوميَّتها عليه ، وللألوهة عليه أحكام تابعة له علىٰ حسب نسبة الأفعال إليه ، فهو تعالىٰ يخلق الأفعال في الممكن ، ويبديها منه له . . فينسبها إليه كسباً ، ثم يُجري أحكامه تعالىٰ عليه ؛ أي : على الممكن ؛ لأنَّ الكسب : تعلُّق إرادة الممكن بفعلٍ ما دون غيره ، فيوجده الاقتدار الإلـٰهي عند هـٰذا التعلُّق ؛ فيسمَّىٰ ذلك كسباً للممكن .

وهـٰذا هو طريق أهل الله تعالىٰ أيضاً واعتقادُهم ، مع ما هم عليه منَ التَّمكين والزيادة في المعرفة الإلـٰهيَّة من حيثُ نظرهُم بنور الله إلى الله ، كما أمرهم تعالىٰ بالنَّظر إليه بقوله : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس : ١٠١] ، وقال في آية أخرىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [الأنعام : ٣] ، فدلَّهم علىٰ نفسه . . فبِهِ عرفوه .

والحاصل : أنَّ اسم الله تعالى المؤمن ظهر في العباد . . فأخذ كلٌّ منه مقدار وسعه ، فمَن كان له في ذلك الحظُّ الأوفر . . فليَتَهَنَّ ، وليفرح بما

---

(١) رواه الدَّيلمي بهـٰذا اللفظ في « مسند الفردوس » (٦٥٥٤) ، وبمعناه عند الترمذي (٣١٢٧) .

(٢) هـٰذه العبارة النَّفيسة من كلام الشيخ الأكبر ، قال في « الفتوحات المكيَّة » (١/ ٤١) : (فإنَّ للعقول حدّاً تقف عنده من حيث ما هي مفكرة ، لا من حيث ما هي قابلة) .

تقرُّ به عينه منَ المشهد الأسنىٰ ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يونس : ٥٨] ، ومَن كان علىٰ دون ذلك . . فلا ينكر علىٰ أصحاب الإيمان الكامل حيثُ يَرىٰ منهم ما لا يوافق طبعه ، ولا يسئ بهم الظن ؛ فإنَّهم في وادٍ ـ خلاف ما هو فيه ـ لا يعرف أحوالهم ، ويعتقد بما هم عليه في مشاربهم ، ويُسلِّم لهم أحوالهم ، ويحبُّهم لقربهم منَ الله تعالىٰ ؛ فإنَّه يلتحق بهم ، ويدخل تحت بَيرقهم معزوزاً مكروماً .

فأهل الله تعالىٰ لهم مشاهدات ربَّانية ، وأخلاق قلبيَّة ، ومقاصد محمَّدية . . لا يعرفها أحدٌ إلاَّ هم ؛ فيُترجِمون عنها بألسنةٍ مختلفة ، وتغزُّلات تُوهِم معانٍ قبيحةٍ عند غيرهم من أهل أسفل سافلين ، وحاشاهم منَ القبيح أو فعله ، وإنَّما كلُّ غزَلٍ يقعُ في كلامهم أو غيره ـ سواء كان مذكَّراً أو مؤنَّثاً ـ أو تشبيبٍ في رياض أو زَهر أو نهر أو شجر أو طير ، أو تمثيلٍ بخدود أو عيون أو ثَغر ، ونحو ذلك من كلام مغمَّض وغيره . . فمرادهم بذلك الحقيقة الإلـٰهيَّة الظاهرة المتجلِّية بوجهها في كلِّ شيء ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة : ١١٥] ، وهو الحق تعالى الباقي في ذلك الشيء ؛ إذ الشيء خافٍ هالكٌ إلا وجهَهُ ، **وليس مرادهم ذلك الشيء الهالك الذي هو مجرَّد رتبةٍ وهميةٍ وصورةٍ تقديريَّةٍ ، وإنَّما مرادهم الوجه الذي قامت به جميع الاشياء** ؛ كما قال بعض العارفين في هـٰذا المعنىٰ ، وهو إشاراتهم الى الوجه الحقِّ : [من الطويل]

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وحُسنُك واحِدٌ ... وكـلٌّ إلـىٰ ذاكَ الجَمَـالِ يُشِيـرُ

فمنهج سبيل الهدىٰ . . واضحٌ لمنِ اهتدىٰ ، فأين الرَّاغبون في الله !

فأين المؤمنون بالله ! ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] ، فأين الصَّادقون مع الله ! فأين الموفون بعهد الله ! ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] .

الله الله عبادَ الله ، عليكم بالإيمان بالله ، والتسليم لله ، والتوكُّل على الله ، والهرب إلى الله ، والتَّصديق لأولياء الله ، ولا تهتمُّوا بشيء دون ذلك ؛ فإنَّ الله تعالىٰ يقول : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١) [النحل : ٤٠] .

فإذا عرفت هٰذا يا أخي وتحقَّقت به . . فاعلم :

أنَّه لا بدَّ للعبد المؤمن منَ العمل الصَّالح ، وأداء حقوق عباد الله تعالىٰ ؛ كما أمر الله بذلك في كتابه وأوصىٰ به عباده ، فلا يجوز لأحدٍ التفريط في شيء منها ؛ إذ الأعمال الصَّالحة والوقوف علىٰ حدود الله تعالىٰ . . من لوازم الإيمان ، والإيمان بلا الأعمال الصَّالحة . . ناقصٌ .

ولنختم هٰذه الرسالة بعدَّة آيات قرآنية أوصى الله تعالىٰ بها عباده ، وأحاديث نبويَّة أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قبيل النُّصحِ للأمَّة(٢) ، وقد ختم بها الشيخ محيي الدِّين ابن العربي قدَّس الله

---

(١) في (أ) و(ب) : (إنَّما أمرنا) وهو خلاف التلاوة .

(٢) عبارة المؤلِّف توهم أنَّه سيذكر شيئاً منَ الأحاديث النَّبويَّة بعد ذكره الآيات القرآنيَّة ، ولم نجدها كذلك ؛ فقد قال بعد سرده للآيات الكريمة وتفسيره لبعضها : (والأحاديث النبوية الواردة في ذلك علىٰ مقتضىٰ هٰذه الآيات . . كثيرةٌ معروفةٌ شهيرةٌ ، وما في القرآن كافٍ عن ذكر ذلك هنا) .




سرَّه كتابه « **مواقع النجوم** »[١] و« **فتوحاته المكية** »[٢] ، وقد زِدتُ علىٰ ذلك آيات وكلمات أُخَر من قبيل التَّفسير لم يذكرها الشيخ هناك[٣] ، فاصغ إليها يا أيُّها الإنسان ، وتأمَّل مضمونها واعمل بها ؛ فإنَّها الصراط المستقيم الموصل إلىٰ جِنَان النَّعيم ، ومَن أخطأَ ذلك . . وقع في الجحيم والعذاب الأليم .

وهٰذا ردٌّ على الزَّنادقة الملحدين المغرورين الجاهلين ، الذين يَنسِبون إلىٰ أهل الله ما ليس فيهم ، ويقولون : إنَّ الأعمال الصَّالحة

---

(١) عبارة المؤلِّف توهم أنَّ الشيخ الأكبر قد ختم كتابه « مواقع النجوم » بذكر شيءٍ منَ الأحاديث النَّبويَّة ، ولم نجدها كذلك ، فالشيخ الأكبر اقتصر في « مواقع النجوم » علىٰ ذكر بعض الآيات القرآنيَّة دون الأحاديث النَّبويَّة ، وعبارته فيه (ص ٢٩٦ وما بعدها) : (مواقع النجوم الفرقانية ، ختمنا بها الكتاب تبرُّكاً وتيمُّناً بكلام الحقِّ جلَّ جلاله ، ووصيةً لعباده في محكم تنزيله ، فاسعَ يا بني جهدك في الوقوف عندَ ما وصَّاك الحقُّ سبحانه في كتابه . . تكن من السُّعداء في الدَّارين) .

(٢) « الفتوحات المكية » (٤/ ٤٤٤) في الباب الموفي ستين وخمس مئة (٥٦٠) ، في وصية حكمية ينتفع بها المريد السالك والواصل ومَن وقف عليها إن شاء الله تعالىٰ ، وهو الذي اشتُهر فيما بعدُ بكتاب « الوصايا » فأُفرد بالنَّسخ بعد وفاة المؤلف رضي الله عنه ، كما وقفنا عليه من تاريخ بعض نسخه المخطوطة ، وأُفرد بالطبع فيما بعد .

وقد اقتصر الشيخ البيتماني في رسالته هٰذه علىٰ ذكر الآيات القرآنيَّة ، ولم يذكر الأحاديث الشريفة التي ختم بها الشيخ الأكبر كتابه « الفتوحات المكية » ، وهي فيه (٤/ ٥٤٠) .

(٣) وقد سار المؤلِّف هنا علىٰ نفس ترتيب الآيات الواردة في « مواقع النجوم » ؛ ولٰكنَّه اقتصر علىٰ ذكر الشاهد من الآية دون سردها كاملةً ، وفي بعض الآيات سردها كاملة علىٰ خلاف ما في « مواقع النجوم » من الاقتصار على الشاهد ، وبالنسبة لزيادته لبعض الآيات الكريمة . . فسنشير إليه ، وأمَّا بالنسبة للتفسير المزجي . . فهو زيادة محضة منَ المؤلِّف ، والشيخ الأكبر لم يفسِّر شيئاً ممَّا ذكره منَ الآيات الكريمة في خاتمة كتابه « مواقع النجوم » .

جاءت في حقِّ العامَّة منَ النَّاس دون الخواصِّ من أهل الله !!

وقد كَذَبوا في ذلك ، وعليهم لعنةُ الله والملائكة والنَّاس أجمعين .

فمِنَ الآيات الواردة في ذلك ، قول الله تعالىٰ وهو أصدق القائلين :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1] [الأنفال : ١ـ٤] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[2] [النور : ٥٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ * وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3] [النور : ٥٥ ، ٥٦] .

وقوله تعالىٰ[4] : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ ؛ أي : حكم ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ

---

(١) هـٰذه الآيات ممَّا زاده المؤلِّف علىٰ ما وردَ في « مواقع النجوم » .

(٢) هـٰذه الآية ممَّا زاده المؤلِّف علىٰ ما وردَ في « مواقع النجوم » .

(٣) هـٰذه الآيتين ممَّا زاده المؤلِّف علىٰ ما وردَ في « مواقع النجوم » .

(٤) من هنا يبتدأ سرد الآيات الكريمة في كتاب « مواقع النجوم » .

وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء : ٢٣ ، ٢٤] .

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ ؛ أي : مربوطة في عنقك ؛ إشارةً إلىٰ شدَّة البخل ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ ؛ أي : تمدَّها بالإنفاق بحيث لا تُبقي لك في مالِكَ بقيَّةً ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء : ٢٩] ؛ بسبب إسرافك وإفراط كرمك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ ؛ أي : الجماع للنساء بغير نكاح صحيح عن تعمُّدٍ منكم ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٣٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ ؛ أي : تُزيلوا حياتهم بالقتل مخافةَ الفقر ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ﴾ بسبب ذلك ﴿ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء : ٣١] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء : ٣٤] ؛ أي : إلا بوجه الاستحقاق الشَّرعي .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الإسراء : ٣٤] إذا عاهدتم .

﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء : ٣٥] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ؛ أي : لا تُتْبِع سمعك وبصرك شيئاً لم تعلمه ، ولا تتكلم به لاحتمال أنَّ ذلك كذب ؛ فتُسأل عنه ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا * وَلَا تَمْشِ فِى

﴿ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [الإسراء : ٣٦ ، ٣٧] ؛ أي : بلا وقوف على حدود الله .

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ ؛ أي : غرض نفسك الشَّيطاني ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [ص : ٢٦] .

وقوله تعالى : ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ﴾[1] أي : بشيء دون الله ؛ إذ كلُّ شيء دونه تعالى هالك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ * وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ أي : من الإحسان ﴿ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن﴾ إلى خلق الله تعالى على قدر وسعك ﴿كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [القصص : ٧٦ ، ٧٧] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [هود : ٨٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان : ١٨] أي : تتذلل لهم طمعاً في دنياهم .

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ [لقمان : ١٩] .

وقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ ؛ أي : الطُّرق العقلية النَّفسانية ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ أي : قولاً حسناً ليِّناً من غير عنف ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة : ٨٣] .

---

(١) في (أ) و(ب) : (ولا تفرح) وهو خلاف التلاوة .



وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ [لقمان : ١٧] .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ ﴾ ؛ أي : تُخاصم ﴿ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء : ١٠٧] .

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الكهف : ٢٨] .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [الكهف : ٢٩] .

و﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [الزمر : ١٤] .

و﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [الفرقان : ٥٧] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ ؛ أي : ارجعوا بالتَّوبة إليه ﴿ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ [الزمر : ٥٤] .

وقوله تعالى : ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ﴾(١) [العنكبوت : ١٦] .

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج : ٧٨] .

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] أيُّها المؤمنون لعلَّكم تفلحون(٢) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ ﴾(٣) [النساء : ١٤٦] .

---

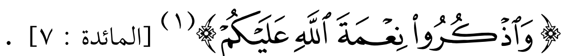
(١) في (أ) و(ب) : (واعبدوا) وهو خلاف التلاوة .

(٢) اقتباس من الآية (٣١) في سورة النور .

(٣) هـٰذه الآية ممَّا زاده المؤلِّف علىٰ ما وردَ في « مواقع النجوم » .







﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[1] [المائدة : ٧] .

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

و﴿ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران : ١٣٠] ؛ أي : شيئاً بعد شيءٍ على التَّدريج ، وهو ما زاد على رأس المال .

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [البقرة : ١٦٨] ؛ أي : تَقفُوا أثرَه بالاتِّباع ، كلَّما نقل قدماً تضعوا أقدامكم مكانه ؛ فيمشي بكم إلى النَّار .

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ؛ بسبب اتِّباعهم خطوات الشيطان ﴿ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر : ١٩] ؛ أي : لم يُعرِّفهم بأنفسهم التي موقوفٌ معرفة الله تعالى عليها ؛ كما قال عليه السلام : « **من عرف نفسَه . . فقد عرَفَ ربَّهُ** »[2] .

---

(١) هـٰذه الآية ممَّا زاده المؤلِّف على ما وردَ في « مواقع النجوم » .

(٢) قال العلامة العجلوني في « كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر منَ الأحاديث على ألسنة الناس » (٢/ ٢٦٢ ، رقم : ٢٥٣٢) : (« من عرف نفسه . . فقد عرف ربه » . قال ابن تيمية : موضوع ، وقال النووي [في « فتاواه » ، ص ٢٤٨] قبله : ليس بثابت ، وقال أبو المظفر بن السمعاني في « القواطع » [٢/ ٦٠] : إنَّه لا يعرف مرفوعاً ، وإنَّما يحكى عن يحيى بن معاذ الرازي . يعني : من قوله .

وقال ابن الغرس [« تسهيل السبيل » (ق ١٣١/ ب)] بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت ، قال : لـٰكن كتب الصوفية مشحونة به يسوقونه مساق الحديث كالشيخ محيي الدين بن عربي وغيره ، قال : وذكر لنا شيخنا الشيخ حجازي الواعظ شارح « الجامع الصغير » للسيوطي بأنَّ الشيخ محيي الدين بن عربي معدودٌ منَ الحفاظ .

وذكر بعض الأصحاب أن الشيخ محيي الدين قال : هـٰذا الحديث وإن لم يصح من طريق الرواية . . فقد صحَّ عندنا من طريق الكشف .

وللحافظ السيوطي فيه تأليفٌ لطيفٌ سمَّاه « القول الأشبه في حديث مَن عرف نفسه فقد=



وقوله تعالىٰ : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ ﴾ أي : لم يهتدِ في الدُّنيا إلىٰ طريق الحقِّ ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أي : لا يهتدي إلى النَّظر إلىٰ وجه الله هناك ؛ لعمى الجهل في عين بصيرته ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٢] أي : لا يهتدي هناك أصلاً .

وقوله تعالىٰ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾[١] أي : تمدحوها بما لا تستحقُّه من المدح ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

﴿ وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٢] [النساء : ٣٦] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ [النساء : ١٣٥] أي : مُشاهدين لتجلِّياته تعالىٰ وظهوره في كلِّ شيء .

﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنفال : ٤٧] أي : متكبِّرين ولا يرون إلا الناس .

﴿ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [النساء : ٥] .

= عرف ربه » ، وقال النجم : قلت : وقع في « أدب الدِّين والدُّنيا » للماوردي عن عائشة سُئل النبيُّ صلى الله عليه وسلم : مَن أعرف الناس بربه ؟ قال : أعرفهم بنفسه) .

(١) في (أ) و(ب) : (ولا تزكوا) وهو خلاف التلاوة .

(٢) في المخطوط أتبعها المؤلف بالآية التي قبلها من سورة الإسراء دون فصل ؛ لاشتراكهما بقوله تعالىٰ : ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النساء : ١٣١] .

إلىٰ أمثال هٰذه الآيات الواقعة في القرآن الَّتي أوصى الله تعالىٰ بها عباده ، وأوضح لهم بها السَّبيل الموصل إليه .

والأحاديث النَّبويَّة الواردة في ذلك علىٰ مقتضىٰ هٰذه الآيات . . كثيرةٌ معروفةٌ شهيرةٌ ، وما في القرآن كافٍ عن ذكر ذلك هنا .

فاحفظ وصيَّة ربِّك يا أخي واعمل بها . . تكن منَ السعداء في الدارين ؛ لأنَّك ما أُمرتَ أن تعبد الله تعالىٰ إلا علىٰ مقتضىٰ ما أنزله في كتابه وبيَّنه رسولُه في سنَّته ، وذلك هو الدِّين القيِّم الصَّحيح الموافق لطريق الصَّواب ؛ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البيِّنة : ٥] ، فهٰذا هٰذا .

الاتباعُ للقرآن والسنة . . هو مذهبنا وطريقنا وشرعنا ، لا نبغي عنه مَعدِلا ، كما هو طريق أشياخنا من قبلِنا ومذهبهم وشرعهم ، وعلىٰ ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نحشر وعليه نلقى الله تعالىٰ .

هٰذا وقد نبَّهتُك يا أيُّها السَّالك على الإيمان بالله تعالىٰ بطريق الإجمال والتَّفصيل ، **وبيَّنتُ** لك شيئاً مما عليه عامَّةُ الناس وخاصَّتُهم علىٰ حسب أحوالهم ، **ودللتُك** علىٰ كيفيَّة اللُّحوق بهم ، **وذكرتُ** لك أنَّ هٰذا الإيمان والتَّوحيد لابدَّ لهما منَ الأعمال الصَّالحة والوقوف علىٰ حدود الله تعالىٰ .

وما دامَ فيكَ بقيَّةٌ للتَّكليف . . فلا يحلُّ لك تركُ شيء منها ، وأمَّا إذا

خرجتَ عن التَّكليف بأنْ صِرتَ في حيِّز المجانين المغلوبِ عليهم بحيثُ لم يبقَ فيكَ بقيَّةُ إدراكٍ ولا شعورٍ بنفسك.. فهناك يُقال: إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب.

وأمَّا ما تدَّعيه طائفة يدَّعون أنهم صوفيَّةٌ أهلُ توحيدٍ ومعرفةٍ، يقولون: إنَّ العبدَ إذا كَمُلَ في السُّلوك.. عُتِقَ من رِقِّ العبودية، وسقطَ عنه قلمُ التَّكليف، فلا صوم عليه ولا صلاة ولا حجَّ ولا زكاة، وأنَّ هـٰذه الشريعة جاءت في حقِّ العامَّة مِنَ النَّاس فقط، وأنَّ هـٰذه الأعيان الممكنة المتغيرة هي الله تعالىٰ، إلىٰ غير ذلك مما هُم عليه مِنْ حِلِّ ما حرَّم الله تعالىٰ، **فهو أمرٌ باطلٌ بإجماع أهل الله، وليس هو مذهب واحدٍ منهم**.

وقد وقفتُ علىٰ مشاربَ كثيرةٍ من مشاربِ أهل الله تعالىٰ.. فما وجدتُ شيئاً من ذلك في كتبهم، ولا في مشاربهم الصَّافية؛ كسيدي الشيخ عبد الغني ابن الشيخ إسماعيل النَّابُلُسي، وسيدي الشيخ محيي الدِّين ابن العربي، وسيدي الشيخ عمر ابن الفارض، وسيدي الشيخ عبد القادر الكيلاني، ومَنْ حدا حدوهم في تلك المقامات قدَّس الله سرائرهم ونوَّر ضرائحهم، وإنَّما هـٰذه الطَّائفة الزَّنادقة المُلحدة.. كذَبوا بما قالوا وادَّعَوا أنَّ ذلك طريق أهل الله، وليس ذلك بطريقِ أهل الله، وإنَّما هم دنَّسوا طريق أهل الله بدخولهم فيه بآرائهم وقولهم ذلك، وهو لا يضرُّ أهل الله تعالىٰ، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ [الروم: ٤٤]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وكان شيخنا الشيخ عبد الغني النَّابُلُسي يقول: إنِّي بريءٌ منهم ومن أعمالهم في الدُّنيا والآخرة، عليهم لعنة الله والملائكة والنَّاس أجمعين.

وكان يقول : الواحد منهم أشدُّ من سبعين شيطاناً ، وإذا رأيت الواحد منهم في بلدة . . فلا تَبِتْ في تلك البلدة ؛ لئلا يفسد عليك دينك ؛ فإنهم أكفر منَ اليهود والنَّصارىٰ .

فالحذرَ الحذرَ يا أخي من صُحبتهم ، وإيَّاك أن يغرَّك واحدٌ منهم بلين كلامه وانحناء رقبته ؛ فإنَّه شيطانٌ أتاك في صورة إنسان متواضع ، وإنَّه لمن الكاذبين ، ولا تصدِّق واحداً منهم فيما يقوله لك عن أهل الله تعالىٰ ؛ فإنَّ أهل الله تعالىٰ يستمعون القول ويتَّبعون أحسنه ، وهم مؤمنون بذلك ؛ كما قال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النور : ٥١] . . قالوا : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] ، ولم يستنكفوا عن عبادته .

ولعلَّ هٰذه الطَّائفة الزَّنادقة توهموا في قول أهل الله حيثُ سمعوهم يقولون : (إنَّ العبد إذا وصل إلىٰ رتبة الكمال . . صار محمولاً عنه الكدُّ ؛ فسقط عنه التَّكليف) أي : ثِقَل أداء العبادة ، فلم يثقُل عليه أداؤها ، فقُلِب التَّكليف في حَقِّه تشريفاً ، فهو مُشرَّف بالعبادات لا مُكلَّف .

فظنُّوا أنهم يقولون بسقوط أداء العبادة عنهم ، وليس الأمر كذلك ، إنمَّا هو فهمٌ خطأٌ وظنٌّ فاسدٌ ، فافهم ذلك يا أيُّها السَّالك .

والله الموفق للصَّواب ، وإليه المرجع والمآب ، وهو الكريم الوهَّاب ، وذلك تذكرة لمن يتذكَّر ، وعبرة لمن يَعتبر ، والله تعالىٰ أعلم .

ولو شاء لجعل النَّاس أمَّة واحدة ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم[1] .

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود : ١١٨ ، ١١٩] .




خواتيم النسخ الخطّية









خاتمة النسخة (أ)

وقد وقع الفراغ من نسخها نهار السبت ، خلا خمسة عشر يوماً من رجب الفرد ، سنة (١١٧٤ هـ)[١] وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

خاتمة النسخة (ب)

وقد وقع الفراغ من كتابتها نهار السبت ، الواقع في تسعة محرَّم الحرام سنة ألف وثلاث مئة وإحدىٰ عشر ، وصلى الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، وناسخها : هو صالح أسعد الحمصي .

* * *

(١) هٰكذا كتب تاريخ النَّسْخ ، بالأرقام لا بالحروف .








فهرس مصادر ومراجع التحقيق

ـ **إحياء علوم الدين**، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت٥٠٥هـ)، ط١، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م)، دار المنهاج، جُدَّة، المملكة السعودية.

ـ **قوت القلوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المريد إلى مقام التَّوحيد**، للإمام العارف المتكلم **أبي طالب** محمد بن علي بن عطيَّة **المكي** (ت٣٨٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، ط١، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

ـ **الإبانة عن طرق القاصدين والكشف عن مناهج السالكين والتوفر إلى عبادة رب العالمين**، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم **أبي بكر** محمد بن حسن **بن فُورَك** الأصبهاني النيسابوري (ت٤٠٦هـ)، تحقيق محمد علاء زينو، ط١، (٢٠١٨م)، دار ضياء الشام، دمشق، سوريا.

ـ **الأربعين في أصول الدين**، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت٥٠٥هـ)، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٩م)، دار المنهاج، جُدَّة، المملكة السعودية.

ـ **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، للإمام الفقيه المحدث شيخ الإسلام أبي يحيى **زكريا الأنصاري** (ت٩٢٦هـ)، تحقيق محمد محمد تامر، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **إلجام العوام عن علم الكلام**، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت٥٠٥هـ)، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جُدَّة، المملكة السعودية.



ـ البرهان المؤيد، للإمام العارف السيد أبي العباس أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (ت٥٧٨هـ)، بدون تحقيق، (١٣٢٢هـ)، مطبعة الظاهر، القاهرة، مصر.

ـ تأييد الحقيقة العليّة وتشييد الطريقة الشاذُليّة، للإمام الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق عبد الله بن الصديق الغماري، (١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٤م)، المطبعة الإسلامية، القاهرة، مصر.

ـ التحبير في التذكير، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق محمد أمين عبد الهادي الفاروقي، ط٢، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار البيروتي، سوريا، دمشق.

ـ ترياق الأفاعي في الرَّدِّ على الخارج البقاعي، للإمام العلامة محمد بن جمعة الحصكفي (ت٨٧٤هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار الآثار الإسلامية، بربلي، سريلانكا.

ـ تسهيل السبيل إلى كشف الالتباس مما ورد من الأحاديث بين الناس، للإمام المحدث الفقيه محمد بن أحمد غرس الدين الخليلي، (ت١٠٥٧هـ)، صورة عن مخطوط محفوظ في جامعة الملك سعود، رقم (٤٤٠١).

ـ التَّعرف لمذهب أهل التصوف، للإمام العارف المتكلم أبي بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي (ت٣٨٠هـ)، تحقيق آرثر جون آربري، ط١، (٢٠١٠م)، بيت الورَّاق، بغداد، العراق.

ـ تنبيه الأنام في شرح أبيات المنام، للعارف بالله حسين بن طعمه البيتماني الحسيني (ت١١٧٥هـ)، صورة عن مخطوط محفوظ في المكتبة الظاهرية، رقم المجموع (٦٠٦٩).

ـ التنوير في إسقاط التدبير، للعارف أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الكريم، ابن عطاء الله السكندري (ت٧٠٩هـ)، تحقيق محمد أمين عبد الهادي الفاروقي، ط٢، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار البيروتي، سوريا، دمشق.

- **حالة أهل الحقيقة مع الله**، للإمام العارف السيد أبي العباس أحمد بن علي الرفاعي الحسيني (ت٥٧٨هـ)، تحقيق محمد أديب الجادر، ط١، (٢٠٠٠م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **الحُلَل الزَّنجفُوريَّة في أجوبة الأسئلة الطيفورية**، للعارف بالله سيدي محمد بن أحمد أكنسوس (ت١٢٩٤هـ)، بدون تحقيق، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، دار النهار، القاهرة، مصر.

- **الرِّسالة القشيرية**، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جُدَّة، المملكة السعودية.

- **رسائل ابن العربي**، لسلطان العارفين الشيخ الأكبر محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن العربي الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، ط١، بدون تحقيق، (١٣٦١هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.

- **رسائل ابن عربي**، لسلطان العارفين الشيخ الأكبر محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن العربي الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، ضبط محمد شهاب الدين العربي، ط١، (١٩٩٧م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **سلسلة تلقين الذكر**، للعارف بالله حسين بن طعمه البيتماني الحسيني (ت١١٧٥هـ)، صورة عن مخطوط محفوظ في مكتبة برلين، رقم (٣٧٣٠)، برلين، ألمانيا.

- **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، للإمام العلامة محمد بن خليل المرادي الحسيني (ت١٢٠٦هـ)، بدون تحقيق، ط١، (١٣٠١هـ)، المطبعة الميرية العامرة ببولاق، القاهرة، مصر.

- **السهام المرسلة الرشيقة في قلوب الناهين عن علم الحقيقة**، للعارف بالله حسين بن طعمه البيتماني الحسيني (ت١١٧٥هـ)، صورة عن مخطوط محفوظ في المكتبة الظاهرية، رقم المجموع (٦٠٦٩).

ـ شرح العفيف التِّلْمساني على منازل السائرين، للإمام العارف عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني (ت٦٩٠هـ)، تحقيق عبد الحفيظ منصور، (١٩٨٩م)، دار التركي.

ـ شرح الفركاوي على منازل السائرين، للعارف حسن بن محمد الفركاوي القادري، تحقيق دي لوجيه دي بوركي الدومنكي، (١٩٥٣م)، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، مصر.

ـ شرح اللخمي على منازل السائرين، للشيخ الإمام سديد الدين أبي محمد عبد المعطي اللخمي الإسكندري (ت٦٣٨هـ)، تحقيق دي لوجيه بوركي الدومنكي، (١٩٥٤م)، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مصر.

ـ شرح المناوي على منازل السائرين، للإمام زين الدين محمد بن عبد الرؤوف المُناوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق محمد نصار، أحمد إبراهيم عبد الحميد، ط١، (٢٠١٠م)، الدار الجودية، القاهرة، مصر.

ـ الشَّيخ الأكبر سلطان العارفين وإمام المحقِّقين وبقية المجتهدين، تأليف الأستاذ رياض المالح (ت١٤١٩هـ)، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات المتحدة.

ـ صحيح البخاري، المسمى «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»، لإمام الدنيا الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م)، دار المنهاج، جُدَّة، المملكة السعودية.

ـ صحيح مسلم، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر، وتم اعتماد ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، للإمام الأصولي قاضي القضاة **تاج الدين** أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي **السبكي**، (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ـ **عدَّة المريد الصَّادق**، للإمام أبي العباس شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد **زروق** البرنسي (ت٨٩٩هـ)، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، ط١، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ **الفتوحات الربانية في شرح التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية**، للعارف بالله حسين بن طعمه **البيتماني** الحسيني (ت١١٧٥هـ)، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، ط١، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **الفتوحات المكيَّة**، لسلطان العارفين **الشيخ الأكبر** محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي **ابن العربي** الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، طبعة مصورة لدى دار صادر عن دار الكتب العربية الكبرى بمصر، بيروت، لبنان.

ـ **الفتوحات المكيَّة**، لسلطان العارفين **الشيخ الأكبر** محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ـ **ابن العربي** الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، تحقيق عثمان يحيى، ط١، (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

ـ **فصوص الحكم**، لسلطان العارفين **الشيخ الأكبر** محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي **ابن العربي** الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨هـ)، تحقيق أبو العلا عفيفي، ط٢، (١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ **القول المنبي عن ترجمة ابن عربي**، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن **السخاوي** (ت٩٠٢هـ)، ط١، (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م)، دار الرسالة، القاهرة، مصر.




ـ **كشف أستار التوحيد للمريد عن وجه جلالات القرآن المجيد**، للعارف بالله حسين بن طعمه **البيتماني** الحسيني (ت١١٧٥هـ)، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، ط١، (٢٠١٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر منَ الأحاديث على ألسنة الناس**، للعلامة المحدث إسماعيل بن محمد **العجلوني** الجراحي (ت١١٦٢هـ)، بدون تحقيق، (١٣٥١هـ)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

ـ **كشف الرحمن عن حقيقة الأكوان**، للعارف بالله حسين بن طعمه **البيتماني** الحسيني (ت١١٧٥هـ)، صورة عن مخطوط محفوظ في المكتبة الظاهرية، رقم (٥٤٠٦).

ـ **كشف الغطاء عن حقائق التَّوحيد وعقائد الموحِّدين، وذكر الأئمة الأشعريِّين، ومَن خالفهم منَ المبتدعين، وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين، وبيان كفر الحشَويَّة المشبِّهة، والمجسِّمة، والحُلوليَّة، والاتحاديَّة الملحدين، منَ المتصوِّفة المارقين، وسائر المرتدِّين، والحثِّ على ملازمة السُّنَّة واتباع السَّلف الصَّالحين**، للإمام العلامة الحسين بن عبدالرحمن **الأهدل** اليمني (٨٥٥هـ)، تحقيق أحمد بكير محمود، ط١، (١٩٦٤ م)، تونس.

ـ **كشف المحجوب**، للإمام العارف بالله أبي الحسن علي بن عثمان الجلابي **الهجويري** الغزنوي (ت٤٦٥هـ)، ترجمة وتحقيق إسعاد عبد الهادي قنديل، (١٩٨٠ م)، دار النَّهضة العربية، بيروت، لبنان.

ـ **لطائف الإشارات**، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن **القشيري** (ت٤٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم بسيوني، ط٢، (١٩٨١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

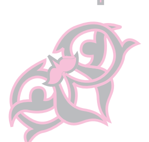
ـ **لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر**، للإمام المؤرخ نجم الدين محمد بن محمد **الغزي** الدمشقي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق محمود الشيخ، ط١، (١٩٨١م)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا.

- **اللُّمع**، للإمام **أبي نصر** السراج **الطوسي**، (ت٣٧٨هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر.
- **محافظة ريف دمشق مدنها وبلداتها وقراها ومزارعها**، تأليف **محمود محمد علقم**، ط١، (٢٠١٧م)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا.
- **مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار**، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد **الغزالي** (ت٥٠٥هـ)، تحقيق أبو العلا عفيفي، ط١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م).
- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، للإمام الفقيه شمس الدين محمد بن أحمد **الشربيني** (ت٩٧٧هـ)، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- **منح الودود في بيان مذهب وحدة الوجود**، تأليف **سعيد فودة**، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، نشر على الشابكة العنكبوتية.
- **المنقذ من الضلال**، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** (ت٥٠٥هـ)، ط١، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م)، دار المنهاج، جُدَّة، المملكة العربية السعودية.
- **الميزان الذَّرية الـمُبيِّنة لعقائدِ الفرقة العليّة**، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد **الشعراني** (ت٩٧٣هـ)، تحقيق محمد عبد القادر نصار وأحمد فريد المزيدي، ط١، (٢٠٠٧م)، الدار الجودية، القاهرة، مصر.
- **هداية المريد لجوهرة التوحيد**، للإمام المتكلم برهان الدين إبراهيم **اللَّقَاني** (ت١٠٤١هـ)، تحقيق مروان البجاوي، ط١، (١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م)، دار البصائر، القاهرة، مصر.
- **الوافي بالوفَيَات**، للإمام الأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيْبَك **الصفدي** (ت٧٦٤هـ)، تحقيق مجموعة من المستشرقين، (٢٠٠٩م)، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، لبنان.

- **الوجود الحق والخطاب الصِّدق**، للإمام العلامة عبدالغني بن إسماعيل **النابُلُسي** الدمشقي (ت١١٤٣هـ)، تحقيق بكري علاء الدين، ط١، (١٩٩٥ م)، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، سوريا.
- **الوِردُ الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبدالغني النابلسي**، للعلامة السيد محمد كمال الدين أفندي **الغزي** العامري (ت١٢١٤هـ)، تحقيق سامر عكاش، ط١، (٢٠١٢م)، دار بريل، ليدن، هولندا.
- **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**، للإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد **الشعراني** (ت٩٧٣هـ)، ط١، بدون تحقيق، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

* * *








محتوى الرسالة








لَيسَ في هذه العقيدة شيءٌ

يقتضيه التكذيبُ والبهتانُ

لا، ولا ما قد خالف العقل والنَّقـ

ـل الذي قد أتى به القرآنُ

وعليها للأشعريّ مدارٌ

ولها في مقاله إمكانُ

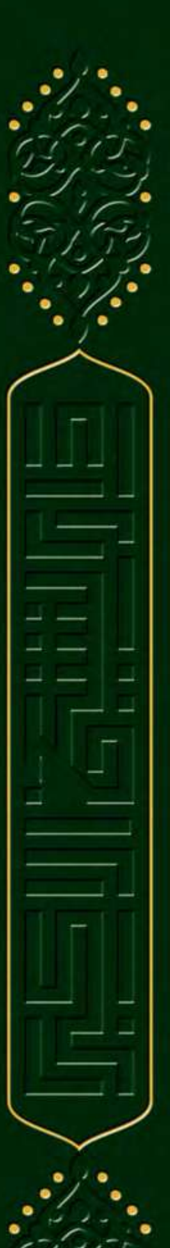
وعلى ما ادّعاه يتّجه البحـ

ـث ويأتي الدليلُ والبرهانُ

بخلاف الشّياع عنه، ولكن

ليس يخلو من حاسدٍ إنسانُ

العلامة خليل بن أيبك الصفدي
(٦٩٦ - ٧٦٤هـ)






ISBN 978-9933-660-01-7
9789933660017